المركز القومى للترجمة

ديوان الأسرار والرموز



الطبعة الثانية

شعر : محمد إقبال

ترجمة : سمير عبد الحميد إبراهيم

ديوان الأسرار والرموز

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٧٤٤/ ٢
- ديوان الأسرار والرموز
- محمد إقبال
- سمير عبد الحميد إبراهيم
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة:

أسرار خودى – رموز بيخودى

محمد إقبال

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦

فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526

Fax: 27354554

ديوان
الأسرار والرموز

شعـــــر: محمـــــد إقبـــــال
ترجمـــــة: سمير عبد الحميد إبراهيــم



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٠٨٨٤ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 0 - 314 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تقديم المترجم

هذه ترجمة لديوان «الأسرار والرموز» للشاعر الفيلسوف محمد إقبال ، وهو معروف لدى القراء العرب من دارسين ومثقفين وغيرهم ، نظرا لما كتب حوله من دراسات متنوعة تناولت شخصيته وشعره وفلسفته ، ونظراً لترجمة أشعاره وما كتب من أبحاث فلسفية إلى اللغة العربية . وقد كان من حظ إقبال أن يبدأ عالم كبير وأديب قدير هو الدكتور عبد الوهاب عزام بترجمة أشعار إقبال ، ومقتطفات من كتاباته الفلسفية إلى اللغة العربية فى فترة مبكرة ، وأن يلتقى بإقبال فى القاهرة ، ويقدمه لقراء العربية ، ثم يسافر عزام إلى باكستان ، وهناك يعكف على ترجمة بعض دواوين إقبال ترجمة شعرية ، وكان من بين الدواوين التى ترجمها ديوان الأسرار والرموز ، وهو الديوان الذى نقدم هنا ترجمته النثرية كاملةً لقراء العربية .

وكان من حظ إقبال أيضًا أن يبدأ المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة فى نشر ترجمات نثرية لدواوينه التى ترجمت إلى العربية شعراً ، سواء الأردية منها أو الفارسية ، وهكذا كان حرص كاتب هذه السطور على المشاركة فى هذا العمل بتشجيع من الأستاذ الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الذى يرى أن صدور أكثر من ترجمة للعمل الأدبى الواحد فيه إثراء للمكتبة العربية ، وإثراء للدراسات الشرقية نفسها التى

تلقى الاهتمام الشديد من المجلس الأعلى للثقافة ، وهذا ما نلاحظه بوضوح من خلال إلقاء نظرة سريعة على قائمة الكتب المترجمة عن اللغات الشرقية التى صدرت فى المشروع القومى للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة فى السنوات القليلة الماضية .

لقد نشر ديوان الأسرار(أسرار خودى) الذى أبدعه إقبال باللغة الفارسية فى سنة ١٩١٥م ، وبعد ثلاث سنوات أى فى سنة ١٩١٨م نشر الرموز (رموز بيخودى) وتضمن ديوان الأسرار والرموز موضوعات لم يأنسها الناس ، فتقبلوه بشىء من التردد ؛ فقد كان الموضوع لا يتناسب وطبائع الناس ، كما أن عنوان الديوان جاء جديداً على العامة والخاصة منهم ، فضلاً عن أن مفهوم " خودى " أى " الذات " لم يتضح لعقول الكثير من المثقفين ، وهكذا كتب إقبال مقدمة للطبعة الأولى، شرح فيها المصطلح الذى أوجده وهو خودى أى الذات ، وبيَّن أنه لم يستخدمه بمعنى الكبر والغرور، بل يريد به الإحساس بالنفس وإثباتها .

وهكذا وجدت من الضرورى هنا أن أكتب لهذه الترجمة العربية مقدمة بحثية مختصرة تلقى الضوء على ديوان الأسرار والرموز حتى تتحقق الفائدة المرجوة من هذه الترجمة ، بالإضافة إلى الحواشى والتعليقات التى رأيت إثباتها فى نهاية كل ترجمة .

ولا يسعنى فى النهاية إلا أن أقدم الشكر للمجلس الأعلى للثقافة ، ولأمينه العام الأستاذ الدكتور جابر عصفور ، وللزملاء الذين تابعوا مراحل تصحيح المسودات وضبطها وإخراجها ، وأسال الله التوفيق للجميع.

سمير عبد الحميد إبراهيم

ديوان الأسرار والرموز

دراسة مختصرة

" الأسرار والرموز " هو الاسم المختصر لديواني إقبال "أسرار الذات" و"رموز نفي الذات" ، وهما في الأصل الفارسي " أسرار خودى " و " رموز بى خودى " ، وموضوع الديوانين موضوع فلسفي ، يحتاج إلى فهم خلفية الشاعر الفكرية ، والوقوف على أحوال العالم الإسلامي في الوقت الذي كُتب فيه هذان الديوانان . وللقارئ أن يرجع إلى كتب التاريخ ليعرف أن العالمَ الإسلامي في مجموعه كان خاضعًا في تلك الفترة للنفوذ الأجنبي ، وكان في معظمه يرضخ للذل والهوان ، ومن هنا بدأ إقبال في البحث عن الأسباب ، وحين عرف الداء انطلق يقدم الدواء ، يحدوه الأمل في أن تعود للمسلمين قوتهم مرة ثانية في هذا العالم .

وحين تُرجم ديوان الأسرار والرموز إلى الإنجليزية سنة ١٩٢٠م عارض كثير من المفكرين في أوروبا ما جاء في الديوان ، وقد رد عليهم إقبال [١] ، ومن بين ما جاء في رسالته إلى المستشرق نكلسون أنه – أي إقبال – يعتقد أن السيد نكلسون لا يزال يحمل نفس عقيدة الأوروبيين القديمة ، وهي أن الإسلام دين يقوم على إراقة الدماء ، والحقيقة أن

مملكة الله الأرضية ليست خاصة بالمسلمين فقط بل هى لجميع البشر، على أن يعيشوا فيها بعيداً عن صراع القومية أو الوطنية أو الجنس أو اللون ، ويسلم الواحد منهم بشخصية الآخر ... ويذكر إقبال بأنه يدرك تماماً أن الاستيلاء والسيطرة واحتلال البلاد ... كل هذا لا يدخل فى مبادئ الإسلام ؛ فهدف الإسلام هو إدخال الأقوام الأخرى تحت لوائه ، ولكنه لا يتخذ الإكراه والقوة وسيلة لهذا ، بل يستعمل الإقناع وتقديم تعاليمه البسيطة السهلة ؛ فتعاليم الإسلام مطابقة تماماً لما يرضاه العقل السليم ، وهى بعيدة كل البعد عن التعقيدات الفلسفية .. (٢) ويتأسف إقبال على مفكرى الغرب :

" كم هو مؤسف حقا أن يجهل أهل الغرب الإسلام والفلسفة الإسلامية ، ليتما أجد الفرصة لكتابة كتاب مفصل عن هذا الموضوع ..." .

ويشير إقبال إلى منهجه فى ديوان الأسرار والرموز :

" إننى أعلن أن فلسفة أسرار خودى برمتها مأخوذة من مشاهدات وأفكار المتصوفة وحكماء الإسلام ... إننى لم أقدم الأفكار الجديدة فى لباس قديم ، ولكنى أوضحت الحقائق القديمة فى ضوء الأفكار الجديدة " (٣) .

مفهوم الذات ونفى الذات عند إقبال

أوضح إقبال لبعض أصدقائه (٤) أنه سنة ١٩١١م كان يقرأ القرآن الكريم ، فتدبر الآية القرآنية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ فتكشفت له حقيقة مهمة ، وهى أن على كل

مسلم أن يعمل على تقوية ذاته ، ومن هنا اتخذ هذه الآية الكريمة أساساً لفلسفته عن الذات (٥) .

ومن هنا وضع إقبال تساؤلاته الفلسفية عن الأنا والكائنات والعلاقة بين الأنا والكائنات ، والغاية من خلق الإنسان ، ووسيلة الوصول إلى هذه الغاية ، ثم حقيقة حصول الإنسان على العلم من عدمه والطريق إلى ذلك وغيرها، ثم فكر فيها بعقلية المسلم ؛ أى أنه جعل من القرآن أساساً لأفكاره الفلسفية التى أثبتها فى أشعاره .

ويمكن أن نوضح الأساس الفكرى فى فلسفة إقبال فى هذه النقاط : إثبات الذات ، والإحساس بالذات ، وتربية الذات ، وتكميل الذات ، ثم ثمرة تكميل الذات ، وأخيراً ما سعى إليه فى الديوان الثانى وهو نفى الذات ؛ بمعنى أن يذوب الإنسان داخل الجماعة ، ولكن بذات قوية ؛ لأن الجماعة أو المجتمع أو الأمة التى تتكون من أفراد أقوياء هى الأمة الباقية الخالدة ، ولا بقاء لأمة يكون أفرادها ضعفاء أصابهم الوهن واستكانوا للذل .

وهكذا يرى إقبال فى دواوينه أن الإنسان يجب أن يشعر بذاته ووجوده حتى يصل إلى مرتبة الكمال ، وعليه أن يعرف أنه أشرف المخلوقات ، وأنه هو بنفسه صانع مستقبله ، ومسئول عنه ؛ فقد خلقه الله على الفطرة السليمة ، والإنسان يحتاج إلى تربية ذاته ليتمكن من السيطرة على الكائنات ، ومن هنا أوضح إقبال فى ديوان " أسرار خودى " أى أسرار الذات الجانب "الانفرادى " أى الشخصى ، بينما أوضح فى ديوان "رموز بيخودى" أى رموز نفى الذات الجانب الاجتماعى أى المتعلق بالجماعة أو المجتمع .

ويرى شارحو شعر إقبال أن إقبالاً بدأ يستخدم مصطلح "الفقر" بدلاً من " خودى " أى بدأ يعبر عن فلسفة خودى أى الذاتية بفلسفة الفقر ، وهو الشعور بالاستغناء لدى الفرد بعد أن يربى ذاته ، فيحاول الوصول إلى تكميلها وتقويتها بما سماه "شان فقيرى" وقد استخدم هذا المصطلح لأول مرة فى جاويد نامه حين قال :

إذا كان العمل خاليًا من القرآن

لا يكون سوى المكر والخداع

والفقر القرآنى هو أساس السلطنة

ما الفقر القرآنى ؟

هو المزج بين الذِّكر والتفكر

والتفكر لا يعتبر كاملاً إلا بالذِّكر

وهنا نؤكد أن إقبالاً حين استخدم لفظ " فقر" فى ديوان الأسرار والرموز ، وحتى فى ديوان بيام مشرق أو رسالة المشرق ، وديوان وزبور عجم ، فهو لم يستخدمه كمصطلح ، وقد جاء الفقر أيضًا فى ديوان بانك درا أى صلصلة الجرس ، إلا أنه قصد به الإفلاس ، والفقر عند إقبال اصطلاح مرادف للتوحيد ؛ فهو يقول :

لو افترضنا بأن الذات سيف

فإن لا إله إلا الله (أى التوحيد) هى المسن

ويقول إقبال :

الفقر هو المعجزات

هو التاج وهو العرش وهو الجند

الفقر هو أمير الأمراء وملك الملوك .

وعلى كل حال حين يولد فى المسلم " شأن فقيرى " أى عظمة الفقر وصفة الاستغناء ، فإنه يفوز بالخلافة الإلهية ، والنيابة الإلهية ، أى تتولد فيه الطاقة ، ويستطيع أن يسخر الذات ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وينصر الله فينصره الله ، وهكذا يوضح إقبال صفات صاحب الفقر .

وفى ديوان نفى الذات أوضح إقبال دستور العمل الإسلامى ؛ لأنه الآن لا يتحدث عن الفرد ، بل يتحدث عن مجموعة الأفراد وعن المجتمع .

ويرى بعض المفكرين أن العلاقة بين أسرار الذات ورموز نفى الذات هى علاقة تضاد ، إلا أن هذا الاعتقاد غير صحيح ، وقد اشتبه عليهم هذا نتيجة لأن " بى " فى الفارسية تفيد النفى ، إلا أنه هنا فى " بى خودى " لا يراد بها النفى ؛ لأنه لا يوجد تضاد بين اللفظتين (خودى) و (بى خودى) ؛ أى أن (بى خودى) ليست عكس (خودى) ؛ لأن الذات التى تتصف بالمصطلح (بى خودى) يمكنها فى الوقت نفسه أن تتصف بالمصطلح (خودى) إذا كانت تحمل صلاحية هذا المصطلح ؛ لأن الذات التى لا تتصف بكونها (خودى) لا يمكن أبداً أن نصفها بكونها (بى خودى) ويمكن أن تتواتر هاتان الصفتان على ذات واحدة أى يحمل الشخص صفة (خودى) أو صفة (بى خودى) وجدها ، وهذا

يمكن أن نمثله أيضًا باجتماع حالتين متواترتين ، فيمكن أن تجتمع المحبة والكراهية فى ذات واحدة ، فيحب أحمد صباحًا ثم ينفر منه مساءً نتيجة لحدث معين ، ومن هنا يمكن أن توجد صفة (خودى) و(بى خودى) فى شخص واحد وفى وقت واحد وليس هناك تباين أو تضاد بينهما ، ويمكن القول بأن من يحمل صفة (خودى) يمكن أن تطرأ عليه حالة (بى خودى) .

أسرار نفى الذات

ويمكن القول بأن إقبالاً فى ديوان أسرار الذات دعا أفراد الأمة الإسلامية إلى أن يعمل كل فرد منهم على تقوية ذاته ، وإثبات وجوده ، وفى ديوان رموز نفى الذات بيَّن إقبال دستور العمل ، وشرح كيف يمكن للفرد أن يسهم فى تشكيل الأمة ؛ فالأمة تنشأ باختلاط الأفراد ، وعلى الفرد أن يذوب فى أمته على أن يكون فى الوقت نفسه صلبًا بذاته .

من هنا أوضح إقبال ضرورة أن تتمسك الأمة بالتوحيد ؛ لأن عقيدة التوحيد هى وسيلة القضاء على اليأس والحزن والخوف والأمراض النفسية الأخرى ، وأن تفهم هدف الرسالة وهو تحرير البشر وتحقيق الأخوة والمساواة ، والأمة التى تعتمد على التوحيد والرسالة لا ترتبط بمُلك أو وطن ولا علاقة لها بالمكان والزمان ، ويصل إقبال إلى ما يهدف إليه حين يقول بضرورة سعى كل فرد فى الأمة إلى تحقيق هدف معين ، وهدف الأمة المحمدية هو حفظ ونشر التوحيد الإلهى على أن تشعر

بذاتها كـأمـة ، كمـا يشعـر الفـرد نفسـه بذاته ، ويظهـر هـذا الشعـور أو الإحساس عن طريق الحفاظ على سنن الأولين من عظمائها ، كما أن بقاء البشرية يكمن فى المحافظة على الأمومة ، ولهذا فإن احترام المرأة – وبخاصة الأم – هو أصل من أصول الإسلام .

نظرة أدبية على الأسرار والرموز

فى ١٨٥٧م غـربت شـمس الدولة المغـوليـة عن أفق شـبـه القـارة ، وسيطر الإنجليز على الهند ، وعملوا على إحلال اللغة الإنجليزية محل الفارسية ، وساعدوا فى نشر اللغة الأردية ، وكان ذلك لأهداف سياسية لا مجال لذكرها ؛ مما أدى إلى تراجع اللغة الفارسية إلى المساجد والمدارس والخانقاهات ، وأدى إلى انفصال أدبى نتج عنه تفاوت فى اللغة والأدب فى كل من شبه القارة وإيران ، فاحتفظت شبه القارة بمصطلحات لغوية وأمثال قديمة اعتبرها الأدباء الإيرانيون مما عفا عليه الزمن ، ومع هذا فالأدب فى شبه القارة يحمل خصائص مميزة جعلت منه مدرسة أدبية يطلق عيها مدرسة الأسلوب الهندى أو السبك الهندى .

ويمكن للقارئ العربى أن يتصور كيف لرجل مثل إقبال لم يدرس الفارسية فى المدرسة أو الجامعة يتمكن من نظم هذه الأشعار التى تحمل أدق المعانى وأكثرها إشكالاً من الناحية الفلسفية ، وقد تخطى إقبال مرحلة السبك الهندى ، وتخطى أيضًا مرحلة السبك العراقى ، إلا أنه مال بأشعاره إلى السبك الخراسانى إلى حد ما مع المحافظة على

الطابع الذى اتسمت به أشعار كبار الصوفية الرمزيين من أمثال : سنائى وعطار وحافظ والرومى وجامى ، وابتكر إقبال روائع فى الأدب الفارسى[٦] ؛ مما يؤكد على الخدمات الجليلة التى قام بها للأدب الفارسى خارج إيران [٧] .

وأشعار إقبال فى الأسرار والرمز مملوءة بالاستعارات والكنايات ، وترتيب الألفاظ فى أشعار إقبال كانت - بطريقة ما - تهدف إلى تحقيق معنى معين فى ذهن القارئ ؛ فقد جمع إقبال الفكر فى فن شعرى ، فهو لا يقول الشعر من أجل الشعر بل وظّف شاعريته لهدف نبيل ، وربما كان للموضوع أثر على إبداع الشاعر فى بعض المواضع فى الأسرار والرموز ، كما أن صعوبة الموضوع واستخدام إقبال للكناية والتورية يؤثر بدوره على ترجمة الديوان إلى العربية ، وهو ما عبر عنه الدكتور عبد الوهاب عزام حين ترجم الديوان شعراً :

" كنت أحسب أن ترجمة هذا الديوان (الأسرار والرموز) أيسر من ترجمة الديوانين رسالة المشرق وضرب الكليم ... وكنت ترجمت رسالة المشرق فى نحو أربعة أشهر وكذلك ترجمت ضرب الكليم .... وقد أمضيت ثلاث سنوات ونصف وأنا فى شغل بترجمة هذا الكتاب وتحريره ، ولولا صحة العز وعظم الرغبة ما تيسرت ترجمة هذا الديوان القيم ولحال اليأس أو العجز دون إتمامه ... " [٨]

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الدكتور عبد الوهاب عزام لم يترجم بعض أشعار الديوان ، فكان يشير أحيانًا إلى أنه ترك بيتًا أو بيتين ، كما كان يترك ترجمة بعض الأبيات دون إشارة إلى ذلك ، كما ترك مرة

أكثر من عشرين بيتًا وردت تحت عنوان "فى شرح أسماء على" ، وترك ٣٩ بيتًا تحت عنوان "فى معنى الحرية الإسلامية وسر حادثة كربلاء"(٩).

ومن هنا تكمن أهمية هذه الترجمة النثرية ؛ لأنها تتضمن ترجمة كاملة للديوان ، فيها حرص شديد على الالتزام بقدر الإمكان بالنص الأصلى ، وإن كانت دواوين إقبال الأخرى قد نالت اهتمام المترجمين والدارسين ، فصدرت لها عدة ترجمات عن الأصل أو عن لغة وسيطة ، إلا أن ديوان الأسرار والرموز لم يحظَ بهذا الاهتمام ، ويرجع هذا إلى دقة الموضوع ، والكيفية التى تناوله بها الشاعر الفيلسوف ، فضلاً عن أن كل بيت من أشعاره ، يحمل معنى يحتاج إلى شرح قد يطول أحيانًا ، ويحتاج إلى تفسير ، قد يختلف عليه أكثر من باحث ، مما دفع أهل شبه القارة أنفسهم إلى إصدار أكثر من كتاب لشرح ديوان الأسرار والرموز ، كان أولها ما كتبه يوسف سليم جشتى (بجيم فارسية) سنة ١٩٢٩م ، وطبع فى لاهور ثم صدرت له طبعات عديدة، بعدها كتب عبد الرحمن طارق كتابًا بعنوان " تفسير خودى " طبع فى لاهور ١٩٤٠م ، وكتب غلام رسول مهر كتابًا بعنوان " مطالب أسرار ورموز " طبع أول مرة فى لاهور ١٩٦٠م . أما عن الدراسات التى صدرت عن ديوان الأسرار والرموز فهى كثيرة ويصعب حصرها هنا(١٠) .

الهوامش

(١) انظر: مقدمة عزام ، حيث أثبت رسالة إقبال إلى المستشرق نكلسون التى نشرت فى المجلة الإنجليزية الشهيرة Quest سنة ١٩٢١م

(٢) الأسرار والرموز دراسة وتحقيق سمير عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، لاهور ١٩٧٨م ، ص ٢٧

(٣) المصدر السابق .

(٤) وهو يوسف سليم جشتى الذى شرح جميع دواوين إقبال شرحًا وافيًا .

(٥) انظر سليم جشتى · شرح الأسرار بالأردية عشرت بيبليشنك هاوس ، لاهور ، المقدمة .

(٦) انظر : سمير عبد الحميد إبراهيم : إقبال وأرمغان حجاز دراسة لعصره وفكره وأدبه مع ترجمة الديوان ، المكتبة العلمية ، لاهور ١٩٧٤م ، الفصل الخاص بأدب إقبال .

(٧) بديع جمعة ومحمد نور الدين الأدب الفارسى الإسلامى الصفحات الخاصة بإقبال ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ٢٠٠٤م .

(٨) انظر . مقدمة الدكتور عبد الوهاب عزام لديوان الأسرار والرموز ، دار المعارف ، ١٩٥٥م .

(٩) سمير عبد الحميد · الأسرار والرموز ، دراسة وتحقيق ، مصدر سابق ص ٥٩ .

(١٠) المصدر السابق ص ٥٤ .

أسرار الذات
(أسرار خودى)

مضى الشيخ فى نواحى المدينة

حاملاً مصباحه . .

وقد شعر بالملل من كل شىء

ينشد إنسانًا . . ينشد آدميًا

فقد شعر بالسقم من الأصحاب

الذين خارت قواهم

وأصابهم الضعف والوهن

ينشد أسد الله . . ينشد هذا الحيدرى

حيدر بن على !

ينشد "رستمًا" بطل الأبطال

الذى تغنى بحكاياته الشعراء

خاطبته . . قلت له :

" بحثنا . . وبحثنا ، فلم نعثر على من تبغى !"

فقال :

" أنا لا أبغى سوى هذا الذى لم تعثروا عليه ! "

مولانا جلال الدين الرومى

أسرار الذات

تمهيد

ليس فى كل ما لدى من يابس أو ندى نقص أو خسارة
فساق كل نخل لدى يمكن أن يكون مفيداً للمنبر [١]

(الشاعر نظير نيشابورى)

حين طلعت الشمس
فأزاحت عن الدنيا غلالة الظلام
سقطت دموعى على خدّ الأزهار
غسلت دموعى النوم من عين النرجس
واستيقظت الخضرة من أنفاسى
أدرك البستانى قوة كلامى
فألقى مصرعًا ! ونال سيفًا ! !

لم يبذر فى الروضة سوى حب دموعى
ونسج الحديقة بخيوط أناتى !

أنا ذرة نالت نورها من الشمس
وهكذا تكمن فى جيوبى مئات الأسحار
أنا ذرة أكثر نوراً وضياءً من كأس جمشيد (٢)
وهكذا صرت عارفًا بأسرار الكون كله
فكرى مثل غزال فى الأسر وقع
ولم يفلت حتى الآن من قيد العدم

الخضرة التى لم تظهر بعد
صارت زينة لبستانى
بينما الورد بدا مختفيًا فى جوف الأغصان
أثرتُ النشاط فى الغناء ..
جعلتُ السرور مضطربًا
فأنا أعزف على أوتار عروق العالم
لا تصدر النغمات من عود فطرتى
إلا نادراً
فجليسى لا يدرى شيئًا عن نغماتى !

أنا فى هذه الدنيا شمس
حديثة المولد

لا أدرى شيئًا عن تقاليد الفلك

ولم تر النجوم تلألئى حتى الآن

ولم يألف الوجود ترقرق زئبقى

والبحار لم تنل نصيبًا من أضوائى الساطعة

والجبال لم تنل نصيبًا من لون خضابى وحنّتى

أنا فى هذه الدنيا شمس

حديثة المولد

عين الوجود لم تألفنى بعد

وأنا فى خوف من الظهور أرتعد !

أشرق صباحى .. فمزق الظلمة

وترقرق الندى الجديد على ورد العالم

أنا فى انتظار صباح يطلع

ما أسعد من يلتفون حول نارى ! (٣)

أنا نغمة لم يعزفها وتر !

أنا صوت شاعر الغد

إن أسرارى تخفى على هذا العصر

وجمال يوسف الذى برفقتى

لا يُشترى من أى سوق هنا !

أنا فى يأسٍ من أصحابى القدامى

إن " طورى " مضىء مشتعل

لعلَّ كليمًا يأتى إليه (٤)

وقلزم (٥) رفاقى هادئ .. ساكن

مثل قطرة الندى

بينما قطرة نداى بحر هائج مثل الطوفان

نغماتى من عالم آخر

غير هذا العالم

وأجراسى أجراس قافلة أخرى

غير هذى ..

كم من شاعر ولد من بعد موات !

حين أغمض العين تفتحت عيوننا

سفر وجهه وجهه من العدم

مثلما الزهر يظهر من تراب قلبه

كم من القوافل مرت من هذه الصحراء !

تخطو حثيثًا مثلما الناقة تخطو الهوينا

أنا عاشق .. ديدنى النواح

ضجيج الحشر منبعث من صياحى

أنا نغمة صوتها فوق قدرة الوتر

نغمة لم تعد لها علاقة بالوتر

وهكذا لم أعد أخشى أن ينكسر عودى

فأبعد القطرة عن طوفانى .. فهذا أفضل

فقد يجن البحر من اضطرابه .. وهذا أفضل

لا تتسع هذه الأنهار لأمواجى

فأمواجى مثل الطوفان

تحتاج إلى بحار وبحار

والبرعم لا يليق أن يُروى من سحاب ربيعى

البرعم الذى ينمو فيصبح روضة

كم من برق كامن داخل روحى

أمضى بين الصحراوات وفوق قمم الجبال

فإن كنت صحراء ، فاقبض على نهرى

وإن كنت " سيناء " فاقبض على شعلتى (٦)

لقد نلت نصيباً من " عين الحياة "

فصرت محرماً لسر الحياة

أحيت حرقة نغماتي " الذرة "

فطارت مثل يراعة مضيئة

لم يكشف هذا السر قبلى أحد من البشر

ومثل فكرى لم يثقب ثاقب در المعانى

تعال ! إن تبغ سر عيش الخالدين

تعال ! إن شئت أن تمتلك الأرض والسماء

أخبرنى شيخ الفلك بهذه الأسرار

أخبرنى كيف يستطيع إخفاء الأسرار

عن الأقدمين

أيها الساقى ! انهض .. واملأ الكأس بالصهباء

وامح من قلبى حزن الأيام

شعلة الماء التى أصلها من زمزم

يقدسها جمشيد (٧)

ويتحول القيصر إلى خادم من أجلها

يضىء منها العقل ويستنير

وتزداد بها قوة البصير

وتجعل القشة مثل الجبل

وفى الثعلب تُريك قوة الأسد

تسمو بالتراب إلى الثريا

وتحيل القطرة إلى أنهار جارية

تحول الصمت إلى ضجيج المحشر

وتحيل العصفور الوديع إلى صقر جارح

انهض أيها الساقى !

واملأ الكأس بالشراب الصافى

أضئْ ليل الفكر بنور القمر

حتى أقود الركب إلى الهدف المنشود

تمضى القافلة إلى منزلها

بحرقة الذوق أمضى أتطلع إلى هدف واحد

أبحث من جديد عن عمل ، وسعى ، وكد ، وجد

أبحث من جديد عن أمل مضىء

فأصير عين أهل الذوق المبصرة

وأمضى مثل لحن عذب فى أذن العالم

لأسمو بقدر الأدب والإبداع

وأمزجه بدموع عينى

وأعيد القراءة والمطالعة من فيض شيخ الروم(٨)

وأكتسب من كل ما تحويه أسرار العلوم

فقد صارت روحه من الضوء ميراثًا

قبست منه .. فصرت مثل الشرر

أغار الشمع المحرق على فراشتى

أما الصهباء فأغارت على كأسى

فألهبته !

صيَّر الرومى ترابى إكسيراً

ومن غبارى أشاد كوناً آخر

ذرة تصعد من تراب الصحراء

حتى تنال نصيباً من شعاع الشمس

اتخذت من بحره منزلا

حتى أنال منه الدرر اللامعة

صرت نشوان من صهبائه

ونلت الحياة من أنفاسه

ذات ليلة ..

شعر قلبى برغبة فى البكاء

فمزق "دعائى : يا رب" ! الصمت

أشكو من أسى الأيام

وأنوح من فراغ الكأس

صرت تعبا مرهقًا من الفكر والتفكر

وأصاب الوهن ريش جناحى

فخلدت للنوم

ظهر لي شيخ الحق الجليل

الذى فسر معانى القرآن بالبهلوية [٩]

قال : يا مجنون أرباب العشق !

انهض ! خذ جرعة من شراب العشق الصافى

أثِرْ ضجيج المحشر فى الفؤاد

واكشفْ للعين حجاب البصر

واجعل الضحك ينبوع البكاء

وسوِّد الكبد بالدموع الدامية

أبكم أنت مثل البرعم

انثر عطرك وطيبك

مثلما الورد يعطر الهواء

ومثل الجرس أصدر الصليل

واجعل محملك - فى القافلة -

على رءوس الأشهاد

أنت نار فأضئْ محفل العالم

أشعل الآخرين بلهيب حرقتك

أذع أسرار شيخ الحانة

وكن موجًا من الصهباء

وألبس نفسك رداءً زجاجيًّا شفافًا

كن حجراً لمرآة الفكر

واكسر المرآة على رءوس الأشهاد

بلغ رسالتك كما الناى

يحن إلى منبته ، يخاطب الغاب

بلِّغ رسالتك مثل قيس

يبلغها أهل ليلى فى عتاب

أوجد النوح بلحن جديد

عمِّرْ الحفل بالآهات والتأوهات

أعطِ كل إنسان حى

ما هو أكثر من الحياة التى يحياها

وزده من قولك " قم " (١٠) حياة على حياة

هيا ! انهض .. واسلك طريقًا آخر

وانفضْ عن نفسك كل قديم بال

تذوق لذة الحديث .. واستيقظ

وانتبه يا حادى الركب .. انتبه

صرتُ من هذا الكلام

مثل النار مضرمة فى القميص

صرت مثل الناى

أكبت بداخلى الأنات المضطربة

صرت مثل اللحن

ينبعث من أوتار عوده

أشدتُ جنةً من حسن البيان

وهكذا كشفت الحجاب عن سر الذات

وأظهرت على الملأ سر إعجازها

كان رسمى صورة ناقصة لم تكتمل

كان نقشى صورة مهملة

إلا أن مبرد العشق

حولنى إلى آدمى .. إلى إنسان

وهكذا تحولت إلى عالم " الكيف والكم "

وهكذا دبّت في رسمي الحياة

فرأيت نبض الأنجم

ورأيت الدماء تسرى في شرايين القمر

وأخذت عيناى تبكى الناس طول الليالى

حتى مزّقت حجب أسرار الحياة

ومن داخل مصنع الكائنات

انكشف لى سر تقويم الحياة

أنا من أضأت هذا الليل

كأننى القمر

أنا الذى كنت غباراً

من أثر أقدام الأمة البيضاء

أمة علا صوتها فى الشرق وفى الغرب

وفى كل الأنحاء

لحنها الجديد أشعل النار فى الفؤاد

ألقتْ ذرةً ، وحصدتْ شمساً

وجنتْ مائة " رومى " و" عطار " !

آهاتى المحرقة اعتلت الفلك

فإن كنت دخانًا ، فأنا من هذه النار

وسما قلبى بهمة الفكر

وجلا نور الصحراء بأسرار السبع العلى (١١)

قطرة كانت هى أصل النهر

ذرة من غبار صارت صحراء شاسعة

لم أقصد بشعرى هذا

نحت صنم

لم أقصد بشعرى هذا

تعظيم وثن

فأنا هندى غريب عن الفارسى

أنا هلال شهر جديد

لكنى مثل الكأس الفارغ

فلا تبحث فى كلامى عن حسن البيان

ولا تبحث عندى على ما تجده

عند شعراء خوانسار وأصفهان

مع أن الشعر الهندى حلو كالسكر

لكن الشعر الدرى (الفارسى) أحلى مضمونًا

من جلوته انسحر فكرى

وهكذا جعلت قلمى

من غصن شجرة الطور

سما فكرى حين لازم الفارسى الفطرة فى فكرى

أيها العاقل ! اقتنص الحكمة من وعائها

واجعل القلب يهوى ما تحويه الكئوس .

فـى بيان أن أصل نظام العـالـم مـن الـذاتيـة وتسـلسـل حيـاة

كـل مـا فـى الـكـون مـن أعـيـان لا يـكـون إلا باسـتـحـكـام الـذات[١]

هيكل الوجود من آثار التراب

كل ما ترى في هذه الحياة

هو سر من أسرار الذات

أيقظت نفساً مثل الذات

وكشفت سر عالم الأفكار

مئات العوالم والأكوان

مختفية فى ذاتها

وغيرها يثبت من إثباتها

بذور الخصام فى العالم

من بذرها

وغيرها تنظر فى ذاتها نفسها

خلقت هيئة الأغيار[٢] من نفسها

حتى تزيد من لذة بأسها

تختبر فى نفسها قوة ساعدها

حتى تقيس مدى قدرتها

عين الحياة مخدوعة بها

مثل وردة هى

تتوضأ دماً من عين الحياة

موت وردة واحدة يخرب مائة بستان

وبنغمة واحدة تتألف مئات الألحان

ومن أجل فلك واحد

يوجد مائة هلال

ولحرف واحد هناك مائة مقال

عذرها فى هذا الإسراف

وفى هذه القسوة

فالهدف هو خلق جمال معنوى

كان حسن " شيرين "

هو سبب معاناة فرهاد لشق الجبل (٣)

ومن أجل المسك

قتل مئات الظباء فى وادى ختن ! (٤)

إن الاحتراق المتواصل

هو قدر الفراشات

والعذر فى ذلك هو الشموع المشتعلة

سطَر قلمها صورة مئات الأيام

حتى يظهر على يديها صبح الغد

أشعلت شعلاتها مائة " إبراهيم "

حتى يضىء فى الورى سراج " محمد "

تعمل لتحقيق أهداف العمل

فهى العامل والمعمول

وهى السبب والعلة

تنهض وتثور وتجفل وتحترق

وتضىء وتختفى وتظهر

سعة الأيام ميدانها

السماء المتموجة طرقها

الطيب فى جيبها

والآفاق من ازدهارها

والليل من نومها

والنهار من صحوها

قسمت شعلتها إلى شرر

وهكذا لم يفهم سرها إلا صاحب العقل الفطن

تنشطر إلى أجزاء وتخلق الأجزاء

وتنتشر فتخلق الصحراوات

تتأذى من الوسعة والانتشار

فتتقلص وتتماسك حتى تصير مثل الجبل

طبع الذات هو التجلى لا الخفاء

كامنة هى فى ذراتها

تنال بذلك القوة

يدها فى الطين

ورغم ذلك

فهى للآفاق نور

قوة صامتة وعمل لا يقر له قرار

فعمل اليوم مرتبط بأسباب العمل التالية

حياة العالم من قوة الذات

وهكذا فعلى قدر قوة الحياة يكون قدْرُها

الذات قطرة تتحول إلى درة

والخمر من ضعف الذات

لا شكل لها

بل تستمد شكلها من شكل الكأس

إن ذات الكأس بالتأكيد أكثر استحكامًا من الشراب

إلا أنها لم تصل إلى درجة الكمال

فهى لا تدر بنفسها

بل تستعير منا هذا الدوران (٥)

ما دام الموج موجًا فى البحر

فإنه سيظل يركب أكتاف البحر

تحرك الجبل من تلقاء نفسه

ومضى حتى صار صحراء

وتحركت الصحراء من تلقاء نفسها

ومضت حتى صارت أنهاراً

وتمحور النور حتى صار حلقة

وتحولقت الحلقة إلى عين

بدأت تخفق شوقًا بل بحثًا عن جلوة

والعشب نما واخضوضر

فشق بهمته صدر الروضة

والشمع بنفسه تماسك وقوى

وبنفسه يطهر نفسه من بين الذرات

جعل من إذابة النفس حرقة لنفسه

ثم أخذ يذرف الدمع من العين

لو أن فص الألماس نضج بالفطرة

لما قاسى من تلك الجراح

وما دام اعتمد على الآخرين فى اكتساب قيمته

لهذا جرحت أكتافه من أثقال الآخرين

حين أحكمت الأرض وجودها

حين أحكمت نفسها

أخذ القمر يطوف دومًا حولها

وكيان الشمس أقوى من الأرض

وهكذا فالأرض مسحورة بعين الشرق

وحركتها من الأهداب مثل هيئة الشنار(٦)

فهو أحمر ملتهب كالنار

ومع هذا فأصله حبة واحدة

استحكمت ذاتها

واكتست بخيوط ونسيج من نار

فيها رغبة جامحة للظهور

لإثبات ذاتها

حين استجمعت النبتة ذاتها

ولدت بها قوة الحياة

ومن جدول حياتها

ولد بحر متموج بالمياه

فى بيان أن حياة الذات موقوفة على تخليق المقاصد وتوليدها

إن بقاء الحياة يكون فى مقصدها

وقافلتها إنما تمضى إلى مقصدها

تكمن الحياة فى مقصدها

وأصلها كامن فى الأمل

فأحىٍّ فى قلبك هذا الأمل

حتى لا يتحول جسدك إلى قبر

لا حياة فيه

فطرة كل شىء فى الكون أمنية للأمانى

والأمانى هى روح دنيا اللون والرائحة

فالقلوب فى الصدور تخفق من هذا الأمل

فتصبح من إشراق الأمل مرايا منيرة

والأمل يهب التراب قوة الطيران

وهو من العقل كالخضر من موسى

إنما يحيا القلب بحرقة الآمال

وبها يُبعث حيّا .. فهو الحق

بينما الباطل إلى موات

فإذا تراجع عن تخليق الآمال والأمانى

اعتراه الوهن .. وتحطم وانكسر

فالأمانى تحرك الذات .. تثيرها

والموج فى بحر الذات

موج مضطرب .. بلا قرار !

والأمانى فخ يصيد المقاصد

وهى خيط يحكم صفحات

كتاب العمل

إن فقدان الأمانى للحى موات

فضآلة حرقة الشعلة تطفئها

فى لحظات

لماذا يا تُرى خلقت العين ؟ !

أليس هو تمنى الرؤية والنظر

تماما مثلما خُلقت رجلا الحجل ؟!

لأنه تمنى التبختر

كما أن حلق البلبل خُلق

لأنه تمنى أن يغرد

والناى الذى انفصل عن غابه

دبت فيه الحياة

فانطلقت النغمات من محبسه

فما الإعجاز فى هذا العقل

الذى احتوى ما فى الكون ؟!

إن متاع الحياة يكون بالأمل وبالتمنى

والعقل أيضاً يتولد من بطن هذا الأمل

ومن رحم التمنى

ما نظام الأمم ؟

وما هذه التقاليد والسنن ؟

ما هى إلا سر تجديد العلوم والفنون

أمل ظهر مما فيه من قوة

ظهر من القلب ؛ فتجلت للعيان صوره :

يد ، وأسنان ، ودماغ ، وعين ، وأذن

فهو فكر ، وتخيل ، وشعور ، وتذكر ، وتعقل

وهى كلها مركب للحياة

آلات صنعتها لتحفظ عليها نفسها

ليس الاطلاع والفكر هما هدف العلم والفن

مثلما الورود والبراعم ليست هى هدف الخميلة

فالعلم من وسائل حفظ الحياة ومتاعها

وهو من وسائل تقويم الذات ومحك لها

العلم والفن وسيلتان لخدمة الحياة

العلم والفن جعلا لتربية الحياة

فيا من جهلت سر الحياة ! انهض !

وانتشي بخمر المقاصد

بخمر الأمنيات

فالأمنيات والمقاصد مثل السحر المضىء

وكل ما سوى ذلك نار محرقة

المقاصد والأمانى تعلو وتسمو فوق آفاق السماء

تحرك القلب بالحسن ، تثيره بالبهاء

تغير على الباطل القديم

تصير محشراً لفتنه وألاعيبه

فنحن نحيا بتخليق المقاصد

فنضيء من شعاع الأمل

فى بيان أن الذات تستحكم بالعشق والمحبة

الذات فى الأصل نقطة نور

هى فى طيننا شرر الحياة

تصير الذات بالعشق والمحبة أكثر ثباتًا

وأكثر حياةً ، وأكثر حرقةً ، وأكثر لمعانًا

الذات جوهر منير بالحب

وبالحب تكشف الأستار

عن قدرتها الكامنة

هى بالعشق تنال قوة (النار)

وبالعشق تظهر ما فى الدنيا من ممكنات

فطرتها بالعشق تنير

وبالعشق يضىء العالم

والعشق لا يخشى سيفًا أو خنجراً

فأصله ليس من ماء

ولا من تراب ولا من هواء

(العشق جوهر أبدى أزلى غير فانٍ)

العشق فى هذه الحياة حرب وسلام

والسيف الذى جوهره العشق

مثل ماء الحياة

نظرة العاشق تشق الصخور

فهو عاشق الحق

يصير فى النهاية هو الحق كله

فتعلم أنت أيضًا هذا العشق

واطلب محبوبًا ..

واطلب عينًا كعين نوح

واطلب قلبًا مثل قلب أيوب لا يبوح

أوجد فى طينك هذه الكيمياء

واجعل من عتبة إنسان كامل

ملجأ لك ومأوى ..

أضئْ شمعك مثل الرومى جلال الدين

وأحرق الرومى بنيران شمس تبريز(١)

إن فى قلبك معشوقًا

مختفيا فى داخله

فلا تبحث عن معشوقك خارج قلبك

ولو كان نظرك سديداً

لأمكنك أن تراه

لو كان بصرك حديداً

فهذا المعشوق مختلف تمامًا

عن جميع معشوقى الدنيا

وله شأن آخر

فهو فى غاية الجاذبية ،

وفى غاية الجمال والحسن

يهب لقلوب معشوقيه القوة والطاقة

بينما عشق المعشوقين الدنيويين

يوهن القلب ويضعفه

القلب من عشقه يصير قادراً وقويًا[٢]

والتراب من عشقه يعلو .. ينافس الثريًا

فها هو تراب نجد

من فيض هذا العاشق علا وسما

وارتفع حتى وصل إلى السماء

أيها القارئ ! إن لم تفهم كلامى

فدعنى أفصح لك :

إن مقام المصطفى هنا فى قلب المسلم

وعزة المسلم هى من اسم المصطفى

هل أخبركم بمحاسن هذا المحبوب ؟

هل أذكر لكم لمحة من لمحات جماله ؟

إن الطور ما هو إلا موجة من غبار منزله

وداره للكعبة هى " بيت الحرم "

" الآن " يضيق عن أوقاته

و" الأبد " يستمد من مداه ، من ذاته (٣)

من شيمته التواضع

نام على الحصير

ومع هذا صار تاج كسرى عند أقدام أمته

لقد اختار أن يخلو بنفسه ليل نهار فى حراء

وهكذا (استجاب الله لدعائه)

فأوجد أمة ، ودولة ، ودستوراً كاملاً للحياة

ظل ليالى طوال لا ينام

حتى استراحت أمته على العرش الخسروى [٤]

سيفه يحمل رسالة الموت للأعداء

لكن حين يؤدى الصلاة

تدمع عيناه

من خشية الله

حين يدعو الله أن ينصره

وأن يكتب له الفتح المبين

فإن سيفه يؤمّن على ذلك

وهكذا طهر سيفه هذه الدنيا

من استبداد الملوك

معلنًا أن الحكم لله وحده

فتح الدنيا بمفتاح الدين

لم تلده بطن أم فى العالمين

يرى العبد والسيد سواءً

يجالس غلامه يشاركه طعامه

حين جاءته ابنة حاتم الطائى

فى إحدى الغزوات أسيرة

مقيدة الأرجل ، مكشوفة الوجه

مطرقة الرأس فى خجل وحياء

رآها النبى هكذا

فألقى على وجهها بردته غطاءً

قائلاً : نحن أعرى من سيدة طىء (٥)

فنحن أمام الأمم بلا حجاب

آه ! هو فى الحشر شفيع لذنوبنا

وهو فى الدنيا ساترنا وحجابنا

لطفه ، قهره ، كله رحمة

فهو يرأف بالأعداء ويتلطف مع الأصدقاء

فتح باب الرحمة للأعداء

فقال عند فتح مكة : لا تثريب عليكم [٦]

نحن براء من قيد الوطن

نحن مثل البصر

يصدر من نور عينين وهو واحد

نحن من الحجاز ومن الصين ومن إيران

مثل ندى صبح مشرق

أسكرتنا عين ساقى البطحاء

فصرنا فى الدنيا مثل الشراب والكأس

خلصنا وطهرنا من امتيازات الشعوب

ومن فرقتها

فقد أحرقت ناره هذا القش وذاك الهشيم

صرنا مثل مئات الأوراق

التى تشكل مئات الورود

لكن شذاها توحّد

هو روح هذا النظام

الذى توحد على يديه

في كلمة التوحيد

كنا - نحن الأمة - سراً مكنونًا في قلبه

فأذاعه بصيحة التوحيد

فانتشرت الأمة على وجه الأرض

ضجيج عشقه كامن في قلبي الصامت (٧)

فقلبي معمور بعشقه

تصطدم مئات النغمات في صدري

ففي صدري مئات الأمنيات

أيها السامع ! ماذا أقول عن ولائي له واشتياقي

وماذا أقول عن تأثير عشقه بداخلي

كل ما يمكن أن أقوله :

إن الجذع الجاف قد بكَى الفراق (٨)

إن وجود المسلمين

نابع من سموه وعلو مرتبته (صلى الله عليه وسلم)

غبار طريقه يزيد من تجليات الطور

تحت قدميه

مرآة قلبه عكست صورتى

وصبحى طلع من شمس صدره [٩]

راحتى في اضطراب دائم

مسائى أكثر حرارة من صبح المحشر

أنا روضة حلَّ بى فصل الربيع الممطر

فتبللت عروقى من أمطاره

زرعت العين فى مزرعة المحبة

فنلت ما نلت من ثمارها بصيرة منيرة

وهكذا أدركت ضمير الكائنات

تراب يثرب هو أحب من الدارين

ما أسعد هذه المدينة

التى بها مثوى الحبيب

روحى فداء للجامى [١٠]

فنظمه ونثره علاج لجهلى

نظم بيتًا مملوءًا بالمعانى

هو فى مدح سيدنا ورسولنا در وجواهر

قال الجامى : سيدنا هو ديباجة كتاب الكائنات

ترى أموراً كثيرة

من خمر العشق

ومنها تقليد الرسول محبة له

فالتقليد من أسماء العشق (١١)

انظر كيف اجتنب يزيد البسطامى

أكل البطيخ ؟!

لأنه لم يعرف كيف كان يأكله الرسول

فيقلده

فيا أيها العاشق !

أحكم العشق بتقليد الحبيب

حتى يحببك رب العالمين

واجلس فى حراء القلب هادئًا

واترك علائق ذاتك

وهاجر إلى الله راضياً

أحكم نفسك بالحق

ثم ارجع إلى نفسك ..

وحطم هوس اللات والعزى

كون جيشاً من قوة العشق وسلطانه

واسع إلى الظهور فى فاران العشق(١٢)

حتى تنال الرضا من رب الكعبة

حتى تكون تفسيراً لقوله " إنى جاعل " (١٣)

.

فى بيان أن الذات تضعف بسؤال الآخرين

(أى الاعتماد على الآخرين فى الحياة)

يا من كنت تجبى الخراج من الأسود

صرت الآن مثل الثعلب

فى حاجة إلى من يعطيك

صرت فى احتياج دائم

إن العوز هو أصل العلل

وأصل الألم كله من هذا المرض

يسلب الرفعة من الفكر السامى

يطفئ شمع الفكر العظيم

فخذ ما شئت من كنز الحياة

خذ الصهباء من كأس الوجود

خذ ما تريد من مال من خزانة الأيام

افعل ما فعله عمر

وانزل مثله عن ناقتك [١]

احذر فتنة الغِيَر .. احذرها تماماً

إلى متى .. إلى متى تتسول المنصب؟

ولماذا تركب القصب (العصا) مثل الأطفال ؟

إن سمو الفطرة يكمن دوماً فى الاتجاه إلى السماء

وسقوطها يكون من سؤالها إحسان الآخرين

إنما تتفرق الذات وتتبعثر من السؤال

وهكذا بدت واحة سيناء الذات

دون شروق وضياء

إن الإفلاس أذل من السؤال

والسائل يكون أكثر حاجةً وعوزًا من الشحاذ

لا تبعثر حفنة ترابك [٢]

واقتطع – كالقمر – رزقك من جوانب نفسك

وإن يكن في الرزق عناء

وإن يكن هناك سوء حظ

أو تعرضت لسيل البلاء

فلا تبحث عن نعمة الغير

ولا تطلب شربة ماء

حتى لو كنت في عين الشمس [٣]

احذر الخزي أمام النبي (صلى الله عليه وسلم)

في ذلك يوم

الذي ينال كل واحد جزاء عمله

يكسب القمر رزقه من مائدة الشمس

وهكذا ظهر وسم الشمس واضحًا عليه

فهو من إحسانها

استعن بالله وجاهد الأيام

ولا تسكب ماء وجه أمة محمد

إن من طهر الكعبة من رجس الأوثان

قال : " حبيب الله رجل كاسب "(٤)

إن من يلجأ إلى مائدة الغير

يصيبه الذل

فهو يخفض رأسه من ثقل منة الغير

فقد أحرق الذات ببرق لطف الآخرين

وباع تاج العزة والغيرة بنفير (٥)

ما أسعد هذا العطشان تحت الشمس

لا يسأل الخضر كوب ماء

لم يند جبينه خجلاً من السؤال

هو حقًا على شاكلة " الإنسان "

هو ليس من ماء وطين

يمضى هذا الفتى الممتاز

تحت هذا الفلك الدوار

يمضى مرفوع الرأس

مثل شجرة صنوبر يافعة

زاد عسره يوماً من بعد يوم

حظه ليس بطيب

ومع هذا فهو يقظ وهمام

إذا جمع الإنسان بالشحاذة والسؤال

بحر القلزم

فسيكون له مثل سيل من نار

لكنه لو جمع قطرات قليلة بقوة ساعده

فهى قطرات مباركة

أجمل من قطر الندى

فكن حباباً .. ولا تستجد من البحر قطرة

ولتكن لديك غيرة الرجولة

وكن بحراً زاخراً

فى كأس فارغ

فى بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق فتسخر قوى النظام العالمى الظاهرة والباطنة (أى يكون لها السيطرة على الكائنات)

حين تستحكم الذات وبالعشق تقوى

فهى تحكم بقوتها العالم

وتسيطر على الكائنات

زينت السماء العجوز نفسها

بنقوش من النجوم

ما هذه النجوم ؟

إنها البراعم التى تنبت منها أغصان الذات

يدها تصير مثل يد الحق

وهكذا ينشق القمر

بإشارة من إصبعها [1]

هى الحكم والقاضى العدل

فى خصومات الدنيا

يخضع لها " دارا " و " جمشيد " (٢)

سأخبركم بقصة أبى على الذى ذاع صيته

واسمه فى عموم الهند (٣)

هذا الشيخ مطرب الروضة القديمة

حكى لنا حكاية عن الورد

هذه القطعة من الجنة

التى أصلها من النار (٤)

صارت من هواء تلابيب الشيخ أبى على قطعة من الجنة(٥)

بينما مضى المريد إلى السوق

نشوان من خمر شيخه " بو على "

أتى عليها فى موكبه

ملك مع حراسه وغلمانه

قام حارس بإفساح الطريق

فنادى على الدرويش : يا أيها الأحمق !

لكن الدرويش مضى فى سيره

فقد كان غارقًا تمامًا فى بحر أفكاره

فجاءه صاحب العصا متعجرفًا

وضربه على رأسه

فتنحى الدرويش عن الطريق

مذعوراً ، متأذيًا ، حزينًا

وصل إلى الشيخ " بو على "

وقد انطلقت الدموع من سجن عينيه

فانطلقت الكلمات من شفتى الشيخ

مثل سيل من نار

آمراً كاتبه أن يسطر ما يعتلج فى صدره

من كلمات

بعد أن أطلق ناراً أخرى من عروق روحه

قال :

أمسك الريشة .. واكتب هذا الأمر :

اكتب :

من الفقير إلى السلطان

ضرب عاملك غلامى ..

اعتدى عليه

فاعزل هذا العامل السيئ الأصل

وإلا ..

وهبنا هذا الملك لغيرك

هزت رسالة عبد الله الحق

بلاط السلطان وأرعبته

فصار السلطان من أعلاه إلى أسفله

صورة للخوف والغم

وشحب وجهه وتغير لونه واصفر

صار مثل صفرة شمس الأصيل

قيد عامله بالسلاسل والقيود

وأرسل طالبًا العفو من الشيخ الفقير

ولما كان " خسرو " شاعرًا أديبًا

وصاحب ألحان (٦)

فطرته مثل القمر

لذا اختاره ليكون سفيره

وليحمل رسالته إلى الشيخ

وهكذا حين عزف خسرو بعض الألحان

أذاب القلندر بنغماته

وهكذا هدأ هذا الطود ..

بعد سماع الألحان الرقيقة

فاحذر .. ولا تجرحن قلب درويش

واحذر .. ولا تزجن بنفسك فى نار محرقة

حكاية فى معنى أن مسألة نفى الذات من مخترعات الأمم المغلوبة بين البشر لتخرب وتدمر بهذه الطريقة الخفية أخلاق الأمم الغالبة

سمعنا أنه فى زمن قديم

كان هناك قطيع من الأغنام

فى أحد المراعى يقيم

زاد نسل القطيع

من وفرة المرعى

ومن خلو بال القطيع

من هجوم الأعداء

وفى النهاية جاء القدر العاثر

ورمى الدهر بسهم البلاء

فى صدر هذا القطيع

فهجمت عليه الأسود

التى جاءته عبر الحدود

من أماكن متفرقة

فأخذت تغير على القطيع

وتشيع فى المرعى الذعر

إن السيطرة والاحتلال هما آية القوة

والانتصار هو سر القوة الواضح

وهكذا ضرب الليث الطبل الملكى

معلناً حرمان هذا القطيع من الحرية

وانطلقت الأسود ومارست لعبة الصيد

حتى احمر المرعى وتخضب

بدم القطيع

فظهر كبش فاهم ذكى

عركته السنون حتى

تصادق مع الذئاب

وكان قد أصابه الحزن

وملأ قلبه الغم

مما آل إليه حال قومه

ومن ظلم الأسود

وهكذا أحكم عمله بتدبير

وهو يشكو تقلب المقادير

فرأى أن الرجل الضعيف

يمكنه أن يحمى نفسه بالحيل

التى يحيكها العقل المدبر

فإن دفع الضرر فى زمن الضعف

يكون بقوة التدبير

فهى وسيلة أنجح

لأنه إذا ما ثار جنون الانتقام

فإن عقل العبد الخاضع

يمكنه أن يخلف الفتن

وهكذا قال الكبش لنفسه : مشكلتنا عويصة

وبحر غمنا لا ساحل له

إن الضأن لا يمكنها أن تواجه قوة الأسود

فسواعدنا رخوة ، وسواعده مثل الفولاذ

ليس من الممكن سوى الوعظ والنصيحة

التى تغير طبع الكبش

تحوله إلى طبع ذئب

قد يراه الأسد مثل الحمل

إن غفل عن نفسه

فادعى فى قومه أنه ملهم

وأنه مرسل لوعظ الأسود

الذين يشربون الدماء

وهكذا صاح :

كل من فى القوم كذاب أشر

كلهم غافلون عن يوم نحس مستمر

لقد أعطيت عظمة القوة الروحانية

وقد أرسلنى الله إلى الأسود

بعد أن جعلنى نبيًّا

جئت بالنور لمن لا نور لهم

جئت بشرع لهم وأنا فى ذلك مأمور

فتوبوا عن عمل السوء

وفكروا فى الربح

إن كل إنسان أو حيوان

يمتلك طاقة وقوة

هو كائن منحوس

فالحياة تستحكم " بنفى الذات "

فالروح تطيب بالعلف

وتارك اللحم هو عند الله المقبول

إن حدة الأسنان تصيب صاحبها بالعار

وهى تعمى البصر وتحول دون الإدراك

لما كانت القوة من أسباب الخسران المبين

فقد جعلت الجنة للمستضعفين

إن طلب العظمة والسطوة شر

فالفاقة والفقر خير من الإمارة والغنى

لا ينال البرق المحرق من الحبة

بينما يحرق البرق البيدر

فيا أيها العاقل !

كن ذرة ، لا تكن صحراء

حتى تنال نور الشمس

يا من تتباهى بذبح الغنم

اذبح نفسك حتى تنال العزة

إن الجد والقهر والانتقام والاقتدار

تجعل من الحياة دنيا فانية

تجعلها دماراً

تدوس الخضرة فتنمو ، وتنمو مرات ومرات

وتفتح العيون مرة من بعد مرة رؤيا الموت

إن كنت غافلاً فاغفل عن نفسك

لست بمجنون إن لم تغفل عن نفسك

أغمض العين وأغلق الفم

واسدد الأذن

حتى يصل الفكر إلى عنان السماء

هذا العلف الذى هو سر الحياة

لا شىء أبداً

لا شىء على الإطلاق

وهو وهم لا رجاء فيه ، أيها الغافل

وكانت خيل شيراز (١) قد تعبت

وأصابها الإرهاق

وبدت تميل إلى حياة الراحة والدعة

فصادفت هذه النصيحة هوى فى نفوسها

فتأثرت بسحر الكبش

كان الكبش هو صيدها

لكنها

اقتدت بهذا الضأن واتبعت شرعته

وحين صار هذا العلف قوتها

تحول جوهرها إلى مثل الخزف

ففقدت أسنانها حدتها

فلم تكن تأكل غير طرى العلف

ولم تعد لتلك العيون التى ترمى بالشرر

هيبتها

ورويداً رويداً

فارق القلب الصدر

وفقدت المرآة جوهرها

لم يعد هناك شوق للعمل الجاد

ولم يبق فى القلب ما يدفع على العمل

ضاع الإقدام ، وضاع العزم والاستقلال

وضاعت القوة ، وضاع المجد والاعتبار

صارت المخالب الفولاذية واهية

فقدت قوتها

وماتت القلوب الحارة

انطفأت جذوتها

وصارت الأبدان لها مدفنًا

وانتهت قوة الجسد

وزاد خوف الروح

فسلب خوف الروح جذور الهمة !

وفى ضياع الهمة تكمن مئات الأمراض

الخوف والجبن ، ودناءة الفطرة . .

وهكذا نامت الأسد اليقظة

بسحر الغنم

وسمَت ضعفها رقيًا وتقدمًا

فى بيان أن أفلاطون اليونانى الذى تأثر به تصوف المسلمين وتأثرت آداب الأمم الإسلامية بأفكاره تأثرًا كبيرًا كان هو نفسه على هذه الطريقة الغنمية

ولما كان هذا المسلك يتعارض مع تعاليم الإسلام ؛

لذا وجب الاحتراز من أفكاره

الراهب القديم أفلاطون الحكيم

هو من قطيع الغنم السابق

فى الزمن القديم

فرسه ضل فى ظلمة المعقول

حاد عن الصراط المستقيم

حتى أعياه التعب

وهو يمضى فى صحراء الوجود

فاتخذ الرهبانية له مسلكًا

وهكذا مال بفكره

إلى "غير المحسوس"

فأعرض عن الحواس جميعها

عن لمس ونظر وسمع

فقال : إن فى الموت سرٌ الحياة

فشمع الحية تكشف عن جلوتها

حين تنطفئ جذوتها

سيطر حكمه على أفكارنا

وكأس خمره يصيبنا بالأوهام (١)

يأتى لنا بالأحلام

يجذبنا إلى دنيا الرهبانية

هو شاة فى لباس إنسان

أثَّر كثيراً على عقول الصوفية

وعلى قلوبهم

فخدعوا بأقواله

ومع أن فلسفته سامية

طالت عنان السماء

فإنه اعتبر الدنيا هراءً

واعتبر " عالم الأسباب " خرافة " وفناءً

سعت فلسفته إلى القضاء

على مكونات الحياة

سعت إلى تحليل أجزاء الحياة

وإلى قطع الغصن

فلم يعد ينمو

يرى فكره أن الخسران ربحًا

وحكمته ترى أن الموجود فانٍ

وفطرته تغفى

تأتى بالأحلام والرؤى

كما أن عين إدراكه ترى السراب

ليس إلا !!

حرم هذا المسكين ذوق العمل

روحه لا ترى إلا العدم

ينكر كل ما هو موجود

ويثبت الأعيان غير المشهودة

عالم الإمكان أفضل للحى

عالم الأعيان .. عالم الخيال أفضل للميت

غزاله محروم من التبختر

والحجل ، طائره معذور

لا يقدر على التباهى بمشيه

لم تلمع عنده قطرة ندى واحدة

ولم يشدُ لديه طائر

وما نبتت فى أرضه حبة واحدة

وفراشاته تهرب ، تفر من الضوء

راهبنا ليس لديه حيلة غير السكون

ولا يملك قوة النزال وصفة الإقدام

قلبه يميل إلى نار خبت

والدنيا عنده عالم من الخمول

طار طيره من وكره

إلى الفلك العالى

وهناك .. تاه

لم يرجع إلى الوكر الخالى

ضاع فكره فى غياهب السماء

لا أدرى هل هى ثمالة الخمر

أم الخمرة نفسها ؟

فقد أصاب السم الأقوام من خمرته

ناموا فحرموا من ذوق العمل

فى حقيقة الشعر وإصلاح الآداب الإسلامية

حرارة دم الإنسان تكون من حرقة جمر الأمل

نار هذا التراب من مصباح الأمل

بالأمل تدب الحياة فى الصهباء

داخل الكأس

والأمل هو الصهباء فى كأس الحياة

بالأمل تزيد حرارة الحياة

وتتابع خطواتها

الحياة مضمون التسخير ولا شىء غير ذلك

الأمل هو حكاية التسخير ولا شىء غير ذلك

الأمل هو مقصود هذه الدنيا

الأمل هو للحسن رسول العشق

فى هذه الحياة

من أى شيء يظهر الأمل كل لحظة ؟

وما الذى يحرك شدو الحياة ؟

كل شيء حسن وجميل وبهيج

هو فى صحراء بحثنا دليل واضح

صورة ثابتة داخل قلبك

تخلق الآمال فى قلبك

الحسن يخلق دوماً ربيع الأمانى

طلعته هى راعية الأمانى

وفؤاد الشاعر هو مطلع الحسن

تظهر أنوار الحسن من طور سينائه

يزداد الحسن جمالاً من نظرته

والفطرة زادت حبًّا من إبداعه

تعلم البلبل الإنشاد من تلحينه

وزاد خد الورد احمراراً من تلوينه

حرقته كامنة فى قلب الفراشات

ومنه ظهرت حكايات العشق المتنوعة

بحر وبر مضمر فى مائه ووردہ

مئات العوالم الجديدة مستترة فى قلبه

كم من شائق النعمان

لم تتفتح بعد داخل دماغه !

كم من نغمات وألحان لديه

لم تسمع بعد !

فكره عال يسمو مع القمر والنجوم

لا يعرف القبح ، يُبدع الحسن

هو الخضر فى ظلماته ماء الحياة

تحى الكائنات من ماء عينيه

نحن كُسالى .. نمشى الهوينا

لم نهتد بعد إلى درب منزلنا

عندليبه يصدر الألحان

يتحايل علينا

وقد أعجبتنا حيلته هذه

فهو يحثنا على السير

إلى فردوس الحياة

حتى تتم دورة قوس الحياة

وهكذا مضت القوافل

على أثر سماع صوت الجرس

مضت خلف نغمات ناى الحادى

الذى سرى نسيمه فى رياضنا

فتفتحت الورود والأزهار

وانتشت الحياة من فتنته

وصارت بذاتها حارسة لنفسها

تحاسب نفسها

يقبل أهل العالم كله إلى مأدبته

وناره مثل الريح تنال من كل شىء

ويلٌ لأمة هلكت !

لأن شاعرها صد عن ذوق الحياة

فظهر الحسن فى مرآته قبيحًا

ومن جرعاته وصلت السموم إلى الكبد

قبلاته تصيب الورود بالذبول

وتُخلِّى قلب البلبل من ذوق الطيران

يصيب أفيونه الأعصاب بالوهن

وموضوعات شعره تقضى على الحياة

يسلب من شجر السرو

الفخر بالعلو والسمو

ويجعل الصقر مثل الحجل

هو حوت لكن نصفه الأعلى آدمى

مثل بنات البحر التى تضلل السفن

يسحر بلحنه ربان السفين

حتى يهوى بسفينته إلى قاع البحر

ألحانه تسلب القلب الثبات

وسحره يصور الموت على أنه الحياة

يسلب من الروح الرغبة فى الحياة

ويخرج من مسامعها الياقوت الثمين

يُلبس الضرر لباس النفع

ويجعل المذموم محموداَ

يلقى بك فى بحر الفكر

فيجعلك غريباً عن ميدان العمل والكد

كلامه وأدبه يشعرنا بالتعب والوهن

والحفل يزداد مللاً من كأسه

برق " نيسانه " لا يأتى بالمطر

وألوان بستانه ، وشذا ورده ، سراب ليس إلا

ليس لحسنه صلة بالحق والصدق

وبحره ليس فيه سوى الدرر المعيبة

حسب النوم لدينا أفضل من اليقظة

أنفاسه أطفأت نيراننا

وصل السم إلى القلب من تغريد بلبله

وخزائن وروده ليس فيها سوى الضغث

الحذر من خمره .. الحذر من كأسه !

الحذر من خمره فهى مغشوشة

يا من سقطت من حراء صهبائه

صبحك يضىء من سنا شرقه

يا من برد قلبك من نغماته وألحانه

لقد تجرعت السم القاتل من بيانه

إن دليل انحطاط أسلوبك

هو فقدان أوتارك نغماتها

أرحت بدنك .. ركنت إلى الكسل

طلبًا لمثل هذا الذل

وصرت فى الدنيا عاراً على المسلمين

حتى صار قدُّك ضعيفا

يلويه غصن ورد طرى

وحتى صار خدُّك يدمى من نسمة هواء

صيحاتك أخجلت العشق

و" بهزاد " ك شوّه (بفنه) صورة العشق (١)

خده بدا شاحبًا مما أصبته به من ألم

برودتك أفقدت نارك حميتها !

صار عليل الروح من ضعف روحك

وصار عاجزاً مما بك من عجز

دموع البكاء مثل الأطفال فى كأسه

وآهات معاناته وتأوهاته هى متاع بيته

لقد سكر من سؤاله واستجدائه على أبواب الحانات

بينما جاءه النور فى بيته متسللاً من الطاق

إنه دليل يائس ، ضعيف متهالك

من ركلات الحارس

صار هزيلاً أكثر من الناى

من جراء الحزن والغم

تنطلق من لسانه مئات الشكاوى من القدر

جوهر مرآته حقد

لا يوجد سوى العجز رفيقًا له على الدوام

سيئ الحظ .. ضعيف .. ذليل .. دون

لا يقدر على شيء .. يائس من كل شيء .. لا هدف له

نوحه يصيب روحك بالملل

وقد نوَّم جيرانه ، أغرقهم فى نوم لطيف

آه من عشق بردت ناره

ولدت جذوتها فى الحرم

ثم خبت فى بيت الأصنام !!

أيها السيد ! يا من تملك خزينة مال الأدب

اضرب هذا المال على معيار الحياة

فالأفكار المنيرة هى التى تقود إلى العمل

مثل البرق الساطع يأتى قبل الرعد المجلجل

يجب عليك أن تجد فى الأدب فكرًا صالحًا

يجب عليك أن ترجع صوب جزيرة العرب

هب قلبك إلى " سلمى " العرب

حتى ترى صبح الحجاز من ليل الكرد (٢)

قطفت الزهر من رياض العجم

وتفسحت فى ربيع الهند وإيران

اشرب قليلاً من حرارة الصحراء

واشرب من خمر تمرها العتيق

ضع الرأس مرة على صدرها

وعوّد جسدك على حرارتها

لقد لبست الحرير طويلاً

فعود نفسك يومًا لبس الخيش

لقد وطئت أقدامك الورد قرونًا

وغسلت خديك بالندى مثل الورد

فتعال . .

درب نفسك على أن تمشى على الرمال

المحرقة . . واغرق داخل بئر زمزم

إلى متى النوح مثل البلبل؟ !

إلى متى تعيش فى الخميلة وسط البساتين ؟ !

كان حظ طائر " الهما " من صيدك حظًا طيبًا

فاجعل العشب فوق قمم الجبال

ضع العش فى مكان عالٍ أعلى من عش الصقر

اجعله عاليًا فى مكان يختفى فيه البرق والرعد

حتى تصير أهلاً لمواجهة أعاصير الحياة

وحتى تحرق الجسم والروح فى سبيل نار الحياة

فى بيان أن تربية الذات ثلاث مراحل : المرحلة الأولى : الطاعة المرحلة الثانية : ضبط النفس ، المرحلة الثالثة : النيابة الإلهية

المرحلة الأولى : الطاعة

العمل والسعى والكد شعار الجمل

الصبر والاعتداد من شيمة الجبل

يطوى الطريق فى صمت وهدوء

يمضى فى الصحراء مثل زورق هادئ

عمله المشى . . فحيث يخطو يكون عمله

يأكل قليلاً ، ينام قليلاً

ويتخذ من الكد مهنة له

يمضى ثملاً تحت المحمل

يتبختر نحو المنزل

من مشيته يبدو مختالاً بنفسه

فهو فى السفر أصبر من راكبه

فاحمل مثله أيضًا

حمل الفرائض والواجبات

ولا تئن

واطلب الثواب ممن عنده حسن المآب

يا غافلاً ! اجتهد فى الطاعة

فمن الجبر يتضح الاختيار

والإنسان الذى لا قيمة له

تظهر قيمته بالطاعة

فالنار تكون من طغيان القش

كل من وضع نفسه فى سلسلة الشرع

سخر القمر النجوم

والهواء يقطر طيبًا

بعد أن يظل حبيسًا لندى الوردة

والرائحة العفنة حبست فى جوف الغزال

فاتخذت صورة الناف

بينما النجم مضى إلى المنزل القديم

مطيعًا خاضعًا للقانون الذى وضع له

والعشب يمضى طبقًا لقانون النمو

فإذا ما حاد عن ذلك جفَّ وانتهى

أما زهرة شقائق النعمان

فقد سُنَّ لها أن تظل تحترق

ومن جهدها تظل الدماء تمضى

فى عروقها

والقطرات تشكل النهر

طبقًا لقانون الوصال

كما أن الذرات

تشكل الصحراء طبقًا لقانون الوصال

فباطن كل شىء يكون بالالتزام بالقانون

فكيف تغفل عن هذه المعانى ؟!

ارجع أيها الحر إلى الدستور القديم

إلى شرع أحكم الحاكمين

وزيّن قدميك بالقيد الفضى (١)

لا تشكو من شدة قانون الإسلام

لأن هذه الشكوى تقودك إلى تأويل الأحكام

المرحلة الثانية : ضبط النفس

نفسك مثل الجمل المعتد بنفسه

يتصف بالإباء والصلف والعناد

فكن رجلاً ! وأمسك بزمامها

حتى يتحول الخزف إلى جواهر

كل من لا يكون له الحكم على نفسه

يكون مجبراً للخضوع إلى حكم الآخرين

إنما كانت خلقتك من طين

مزجت به المحبة والخوف

خوف الدنيا وخوف العقبى وخوف الروح

وخوف آلام الأرض والسماء

وحب المال والثروة

وحب الوطن وحب النفس

وحب الأقارب وحب الزوجة

الجسم مكون من امتزاج الماء والطين

يهلكه المنكر ، تقضي عليه الفحشاء

فمن يمسك بعصا لا إله إلا الله

من يقبض على عصا التوحيد

يمكنه أن يحطم طلسم الخوف

وكل من أوجد في نفسه الحق

لا يخفض الرأس لأى باطل

ولا يعرف الخوف طريقه إلى صدره

فلا يخشى فؤاده أحداً سوى الله

وهكذا .. فكل من كان موطنه " لا إله إلا الله "

كل من كان موطنه " التوحيد "

يكون حراً من قيد الزوج والولد

يعرض عن كل شيء ..سوى الله

يضع السكين على رقبة ولده [٢]

ويكون مثل شخص

وسط هجوم جيش

يبذل روحه رخيصة لا يبالى !

والصلاة هى درة " لا إله إلا الله "

هى درة التوحيد

هى لقلب المسلم مثل الحج الأصغر

هى فى كف المسلم مثل الخنجر

يقتل بها الفحشاء

يحطم بها البغى والمنكر[٣]

أما الصوم .. فهو يغير على الجوع والعطش

يربى " خيبر " الجسد ويقويه

بينما الحج ينير فطرة المؤمنين

يعلم درس الهجرة وترك الوطن

والطاعة هي رأس مال الأمة

هى متاع الأمة

هى خيط يربط كتاب الملة

أما الزكاة فهى تقضى على حب الثروة

تعلم حب المساواة

الزكاة تزيد المال

وتقضى على حب المال

فاحكم قلبك بقوله تعالى : "لن تنالوا البر حتى تنفقوا" (٤)

وافهم ..

هذه كلها أسباب استحكام الذات

فالذات تقوى وتستحكم

طالما كان هناك في القلب إسلام

فكن من أهل القوة .. يقويك الله بالقوى

حتى تركب هذا الجمل الترابى

المرحلة الثالثة : النيابة الإلهية

لو كنت جملاً لحكمت العالم كله

وصرت زينة التاج السليمانى

فكن جملاً .. حتى تملك هذه الدنيا

وحتى تكون تاج ملك لا يبلى

ما أسعد من يكون خليفة الإله

فى هذه الأرض

فخليفة الله يكون مثل روح العالم

وجوده هو ظل الاسم الأعظم

هو مطلع " خيبر " بالجزء والكل

وهو قائم بأمر الله فى هذه الدنيا

يضرب خيمته فى هذا العالم الفسيح

ويضرب هذا البساط القديم

يقضى على الأباطيل الموروثة ولا يبالى

فطرته معمورة

يظهر منها عوالم .. ويشيد منها عوالم

مائة عالم مثل عالم الجزء والكل

تتفتح من خياله مثلما الورود

ينضج فطرة كل خام

ومن الحرم يخرج الأصنام

والنغمة تخرج من أوتار القلب

على أثر مضرابه

هو يقظ طول حياته ، وهو فى الحق يقظ

بينما منامه يقضيه فى سبيل رضا الله

يعلم الشيب لحن الشباب

ويلون كل شيء بلون الشباب

هو بشير ونذير فى العالمين

وهو أيضاً جندى وحارس

وهو أيضاً أمير

هو مدعا قوله تعالى " وعلم الأسماء "

وهو سر قوله تعالى " سبحان الذى أسرى "(٥)

يده البيضاء قوية بالعصا

وقدرته الكاملة مقترنة بعلمه

جفَّ نهر النيل من هيبته

وذهب بآل فرعون من مصر(٦)

من صيحته " قمْ " تنهض الأرواح من قبور الأبدان

فتصير الأرواح الميتة مثل الصنوبر في الرياض

ذاته موجهة لذات العالم

وفى عظمته وقوته نجاة العالم

ذرة الشمس عُرفت من ظله

وقيمة الحياة عظمت من أصله

يهب الحياة بإعجاز العمل

فهو يجدد دائماً معايير الأعمال وقيمها

فى كل مكان سار فيه تظهر الجلوات

وهكذا هام فى سينائه مائة حكيم وكليم

فسَّر الحياة تفسيراً جديداً

وعبر الرؤيا بتعبير جديد

وجوده المكنون هو سر الحياة

ونغمته التى لم تنطلق هى لحن الحياة

طبع موزون ، وفطرة سليمة

تجعل من " مثنويه " هذا شعراً موزونًا

قبضة ترابنا هذه [٧] وصلت إلى الفلك الأعلى

فظهر لنا فارس عظيم من هذا الغبار

في تراب يومنا

تكمن شعلة الغد لعالم حرقتنا

وفى براعمنا هذه تكمن روضة مزهرة

وعيوننا تضيء بصبح الغد

أقدم أيها الفارس على ظهر الجواد المسرع !

أقدم يا نور عين الممكنات !

أوجد موكبًا مثيراً !

واسكن فى سواد الأعين !

أخرس وأسكت ضجيج الأمم !

وأسمع لحنك إلى كل الآذان !

انهض وعلِّم قانون الأخوة والمساواة !

وأدر كأس صهباء المحبة !

أعد إلى العالم المحبوب أيام السلام !

بلّغ المتحاربين رسالة الأمن والوئام !

فأنت البذرة وأنت الثمرة بين بني البشر

أنت هدف قافلة الحياة

إن جور الخريف أسقط أوراق الشجر

فأعد الربيع إلى رياضنا

إن سجدات الطفل الصغير والشاب والعجوز

تصيب جبيننا بالخجل

نحن نسمو بوجودك

ونرفع الرأس عاليًا

وهكذا نحترق بحرقة هذا العالم

فى شرح أسرار أسماء علىٍّ المرتضى رضى الله عنه

المسلم الأول ملك الرجال

علىٌ رضى الله عنه

جعل العشق أساسًا لإيمانه

أحب أهله ، ومحبتى هذه متاع حياتى

وببركتها أتألق فى الدنيا كالجوهر

أنا كالنرجس صرت عينًا

وصرت أيضًا متواريًا عن كل شيء

وصرت كالرائحة الطيبة في بستان عليّ

لو تفجر زمزم من ترابي

فهذا من فضل عليّ

ولو انسكبت المدام من عنقود كرمي

فهذا من فضله أيضًا

أنا تراب إلا أن محبة عليّ

قد جعلتني شفافًا صافيًا كالمرآة

فكان أن انبعث اللحن من صدري صافيًا شفافًا

لقد ارتفع قدر عليّ وسما

فحتى الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يتفاءل برؤية وجهه

إن شأن أمتنا وعظمتها مستمدة منه

قوة الدين المبين أمره

ونظام الكائنات متوقف على آله

سماه رسول الله " أبو تراب"

وجاء ذكره فى القرآن بيد الله [١]

كل من يعرف أسرار الحياة

يعرف ما هو سر أسماء عليٍّ رضى الله عنه

التراب المظلم الذى هو أصل الجسم

يصرخ العقل من ظلمته

يصل علو فكره إلى السماء

لقد دار هذا الجسم وقيس بالذراع على هذه الأرض

والعيون أظلمت بسببه

والأذن صُمَّت بسببه

وهو يملك بيده السيف ليقضى على قاطع الطريق

الذى يحطم قلوب المسافرين

لقد سخَّر أسد الله هذا التراب [٢]

وحوله إلى إكسير

المرتضى الذى أنار الحقَّ سيفُه

فهزم النفس الأمارة وانتصر عليها

هذا الرجل يملك العالم بجهاده

والجوهر ينال رونقه ولمعانه من قطرات دموعه

إن كل من يصبح " أبو تراب" يمكنه

أن يجعل الشمس تشرق من الغرب (٣)

يصبح مسيطراً على عناصر الكائنات

كالخاتم الذى يحكم على فصه

يكون تحت قدمه عظمة خيبر

ويكون بيده تقسيم ماء الكوثر

إنه يعرف ذاته ، ولهذا فهو يد الله

ويصير له ملك الدنيا

إنه باب مدينة العلم

وتأتمر بأمره بلاد الحجاز والروم (٤)

إن الرجولة فى أن يسيطر الإنسان على جسمه

فبغير هذا لا ينال الشراب المصفى من كرمه

إن الفناء في الذات هو شأن الفراشات

فلتسيطر على ترابك

ولتظهر فيه قوة الرجولة

فهذا ما نسميه شأن الفقير

يا من أنت مثل الوردة

رقيق البدن . .

كن مثل الحجر

حتى تكون أساساً لجدار البستان

أوجد من ترابك آدمياً

ومنه شيِّد عالماً

لو كنت ليناً فلن تكون جداراً ولا باباً

بل سيشكل الآخرون من تربك اللبنات !

يا من تصرخ من جور الزمن

إن كأسك يشكو ظلم الحجر

إلى متى تنوح وتصرخ وتقيم المآتم

وإلى متى يعتلج الحزن فى صدرك ؟ !

مضمون الحياة مضمر فى العمل

لذة التخليق والإيداع هى قانون الحياة

فانهض ! وشيِّد عالماً جديداً

أُدخل النار ! وكن مثل الخليل !

إن قبول السير مع هذا الزمن

أمر غير مناسب

مثل رمى الترس فى ميدان الحرب

إن الفطن المعتد بنفسه

يجعل الزمن يمضى تبعًا لمزاجه

وإذا لم يمض الزمان على هواه

أعلن الحرب حتى على الأفلاك

يحطم بناء الموجودات

ويمنح الذرات تركيبًا جديداً

يثير دوران الأيام

ويعكس دوران عجلة الأفلاك

يبدع من قوته زمنًا

يكون موافقًا لمزاجه

فإذا لم يستطع أن يعيش عيشة الرجولة

فله أن يسلم الروح

ويموت موت الرجال

لقد جرب هذا صاحب القلب السليم

حين جعل قوته من المهمات العظام

من الأفضل أن يقترن العشق بالصعاب

والبلايا

فما أفضل ما ناله الخليل

فقد جنى فى النار ورداً وزهوراً

إن ممكنات قوة العمل الرجولى

تتجلى فيمن يعشق الصعاب والمخاطر

سلاح الأنذال حقد ولا شيء غير الحقد

وللحياة قانون واحد ، ولا شيء سواه

الحياة الحق قوة ظاهرة

أصلها كان فى حب الاستيلاء والسيطرة

العفو فى غير محلة هو برودة دم الحياة

هو سكتة فى بيت الحياة الموزون

فالعاجز الذى يخضع للذل

يحسب عجزه قناعة

وما ينال العاجز غير قطع سبل الحياة

لأن قلبه مربوط بالخوف والكذب

باطنه يخلو من كل المكارم

ليثه أصابته التخمة بأكل الخبائث

فانتبه يا صاحب العقل السليم !

لا تقع فى كمائن هذا الانتهازى

إن كنت عاقلاً .. فلا يغرنك بتلونه

فهو مثل الحرباء

يتلون مع لون كل زمان

شكله قد يخفى حتى على أهل النظر

فهو يضع ستارة على وجهه

يظهر أحيانًا فى ثوب الرحمة والرقة

ويظهر أحيانًا فى ثوب التضرع والخضوع والتواضع

ويظهر أحيانًا مختفيًّا فى ثوب المجبر

وأحيانًا يختفى وراء قناع المعذور

تظهر على سحنته سمات الراحة والثراء

يسلب القلب من يد صاحب القوة

إن القوة قرينة للصدق

فاعرف بأن هذه جام " جمشيد "

تريك الأقاليم السبعة

وتكشف لك سر العالم (٥)

الحياة حقل محصوله القوة

قوة هى رمز الحق والباطل (٦)

فالباطل بالقوة يكون حقًا ماثلاً أمام الجميع

بينما ضعف الحق

يحيل الباطل حقًا

مثلما السم

يصير من قوته كوثراً

فإن تقل للخير شراً ، صار شراً

يا من تغفل عن آداب الأمانة

اعتبر نفسك أفضل من الكونين

اطلع على رموز الحياة

واحذر الظالم والجاهل

احذر غير الله

أيها العاقل ! افتح عينيك وأذنك وفمك

لن تبصر غير الحق طريقًا للحق

ويا سعديك لو لم تبصر غير طريق الحق !

قصة فتى من مرو قدم إلى السيد على الهجويرى رحمه الله شاكيًا له ظلم الأعداء

السيد الهجويرى .. مخدوم الأمم

مرقده حرم للشيخ الجشتى (١)

قطع الجبال .. واجتاز السدود

بذر فى الهند بذرة السجود

يذكرنا بزمن الفاروق

فزمن الفاروق يتجدد بجماله

وقد ارتفع الحق بدعوته

وبتعليمه

فهو حارس عزة أمِّ الكتاب

من نظرته تنهار أسس بيت الباطل

أينعت روضة الحياة

في تراب البنجاب من أنفاسه

وأضاء صبحنا ونوّر من شمسه

هو عاشق وهو قاصد العشق

سرّ العشق يظهر من طلعته

أحكى هذه الحكاية

عن كماله .. وأجمع الروضة في برعم :

قدم فتى يافع مثل السرو

جاء من مرو إلى لاهور

جاء إلى السيد .. عالى الجناب

فكشف بالنور الظلمة

قال : إنى أسير صف الأعداء الظالمين

مثل زجاج وسط الأحجار

فعلمنى أيها الشيخ العظيم

كيف أعيش وسط الأعداء ؟!

فقال الشيخ العالم

صاحب الجمال والكمال

الذى يشع وجهه محبة وجلال :

أيها الغافل عن طريق الحياة

الغافل عن نهاية الحياة وبدايتها

أفرغ نفسك من التفكير فى الغير

وأيقظ ما بداخلك من قوة كامنة

إذا ظن الحجر نفسه زجاجًا

صار زجاجًا وتكسر

وإذا ظن نفسه ضعيفا

سلم نفسه ومتاعه لقطاع الطرق

إلى متى تعتبر نفسك ماءً وطينًا ؟!

أوجد من طينتك شعلة الطور

لِمَ تشكو من الرفقاء الأعزاء ؟!

لِمَ تشكو من الأعداء؟!

أقول الحق : هناك عدو

لكنه أيضاً صديق لك

حياته رونق وبهجة لسوقك

إن كل من يعرف مقامات الذات

يعرف أن قوة الأعداء فضل

فالأعداء يوقظون فيك القوة الكامنة

يوقظونك من غفوتك

مثلما السحاب الراعد المملوء بالمطر

يكون خيراً لزرع البشر

لو أن همتك قوية

لأذبت الحجر

مثلما السيل فى ارتفاعه وانخفاضه

لا يهمه الصخور

إن العقبات فى الطريق

تشحذ الهمم .. تشد من عزم الإنسان

كما أن بُعد المنزل يكون اختباراً لعزم الإنسان

ما فائدة حياة ليس فيها سوى الطعام والراحة؟!

ما الفائدة إن لم تحكم نفسك

وإن لم تربى بداخلها العزم والقوة ؟!

إن أردت ذلك ..

فاقلب الدنيا رأساً على عقب

وإن أردت الفناء فاهجر ذاتك

وإن أردت البقاء فاعمر ذاتك

ما الموت ؟

هو أن تغفل عن ذاتك

ماذا تظن؟

أتظنه فراق الروح والجسد؟!

أقم في الذات .. على شاكلة يوسف

وامض من الأسر إلى الملك

فكر في الذات وكن رجلاً عاملاً

كن رجل حق

حاملاً للأسرار

أشرح لك هذا السر من خلال الحكايات

وأفتح البرعم بقوة النفس

" ما أسعد ذلك الحبيب الذى يحفظ السر

فلا يتحدث به إلى الآخرين " !!

حكاية الطائر الذى أجهده العطش

طائر قد أجهده العطش

حتى صارت الأنفاس من داخله

مثل أمواج دخان

رأى الماسة فى روضة

فظنها من شدة العطش ماءً !

خدعته الشمس حتى حسب

لمعانها على الصخر ماءً

كلما ضرب منقاره الألماس

لم يجده ماءً

وكلما ضرب منقاره

كلما اشتد عليه العطش

قال الألماس : يا من سيطر عليك الهوس

فأخذت تضربنى من فرط الهوس

لست بقطرة ماء

أنا لا أروى أحداً

وأنا لست باقية هنا

من أجل الآخرين

مجنون من قصد إيذائى

فهو لا يدرى شيئًا من الحياة الظاهرة

إن مائى يكسر منقار الطيور

كما أن جوهر الروح يبهر الإنسان

وهكذا .. لم يجد الطائر فى الألماس مأربه

فعاد إلى نفسه تاركًا لمعان الجوهر

وسكنت الحسرة صدره

وانبعث من حلقه نغم صارخ

كانت هناك قطرة ندى

على غصن وردة

فاتقدت .. أضاءت مثل دمع عين بلبل

وهى ممتنة لضياء الشمس

ومع هذا كانت ترتعد

خوفًا من الشمس

هى مثل كوكب فى طبعه الخوف

مثل كوكب من نسل الفلك

تنتهى فى لحظة من ذوق الظهور

كم خدعت هذه القطرة

من البرعم ومن أكمام الزهور

فلم تنل نصيبًا من حياتها

فهى مثل دمعة عاشق زينت أهدابه

وهى على وشك السقوط !!

فوصل الطائر المجبر

إلى تحت غصن الورد

وبل بقطرة الندى حلقه

يا من تبغى عدواً تغلبه !

أسألك .. هل أنت قطرة أم جوهر ؟

حين ذاب الطائر من حرقة العطش

أنقذ نفسه بحياة الآخرين

كانت الألماس مثل قطرة فولاذية صلبة

لم تكن قطرة ماء تبتلع

أيها الغافل ! احفظ عليك دوماً ذاتك ..

وكن الألماس .. ولا تكن قطر الندى

أنضج فطرتك .. وكن على شاكلة الطود

واحمل مئات السحب

التى تفيض أنهاراً وأنهاراً

أدرك الذات بإثبات الذات

وكن مثل الفضة بجمع ذرات زئبقك .

وأظهر النغمة من أوتار ذاتك

تظهر لحن أسرار ذاتك

حكاية الألماس والفحم

أخبرك بحديث آخر حتى

أفتح لك مرة أخرى بابًا من باب الحقيقة

قال فحم فى منجم للألماس :

يا من أنت رفيق الأنوار على مدى الأزمان

نحن رفقاء .. بدء وجودنا واحد

وأصل وجودنا فى الدنيا واحد

أنا فى المنجم ميت .. أتألم من الذلة

بينما وصلت أنت إلى تاج الملوك

تزينه فى عزة وفخار

قدرى لا يساوى حفنة تراب

بينما جمالك يشق قلب المرايا

الجمر يضىء من خلاصى

وهكذا فكمال جوهرى هو الرماد

يدوسنى كل إنسان

وقد صبوا على وجودى الشرر

يجب أن يبكى الجميع على حالى

هل تعلم ما كنه ذاتى ؟

أنا موج دخان يتقد

وأصلى شرر يصعد ويتلاشى

أما أنت فمثل الأنجم وجهك وطبعك

ينبعث منك الضوء من كل جانب

أحيانًا تكون نور عين القيصر

وأحيانًا تكون زينة لمقبض خنجر

قال الألماس : يا رفيقى ويا سميرى !

إن التراب ينضج فيصير خاتمًا

وهو يعلن الحرب فيما حوله

فينضج ويتماسك حتى يصير صلبًا كالحجر

إن هيئتى من نضجها صارت منيرة

وصدرى امتلأ بالنور والضياء

أنت ذليل بسبب وجودك الذى لم ينضج بعد

وهكذا تحترق بسبب ليونة قوامك

اترك الخوف والغم والوساوس

وانضج مثل الحجر وصر ألماساً

من سعى بجد نال ما سعى إليه

ينير العالمين معًا بنوره

انظر ! فالحجر الذى هو فى حضن الكعبة اليوم

أصله حفنة من تراب

إلا أن مقامه اليوم أسمى وأعلى من جبل الطور

يقبله اليوم جميع البشر

الأسود منهم والأحمر

فى الصلابة شرف الحياة وعزتها

وليس فى العجز والحاجة والفجاجة

حكاية الشيخ والبرهمن وحوار نهر كنكا وجبل الهملايا

فى معنى أن تسلسل حياة الأمة ودوامها يكون بالتمسك بقيمها الخاصة بها

كان هناك برهمى محترم

فى مدينة بنارس

كان دائم التفكير فى مسألة الوجود والعدم

كان يمتلك من الحكمة الكثير

فكان الباحثون عن الله يفدون عليه

ثقةً منهم فيه

كان ذهنه قادراً على حلِّ المشكلات

بينما سما عقله فطاول الثريا

وكره عال كأنه العنقاء

وكأن الشمس والقمر تنال الضوء

من شعلة أفكاره

ظل كأسه فارغًا مدة من الزمن

لم يعطف عليه ساقى الحكمة

ولم يصب في كأسه شيئًا

فلم يكن قد أمضى مدة

فى رياض العلم والمعرفة

ولم تر عيناه طائر المعانى

أدمى أظفار فكره

ومع هذا

لم يحل عقدة الوجود والعدم

كانت الآهات تشهد على حرمانه

وكانت قسمات وجهه الكاشفة عن مكنون قلبه

تدل على حيرته

ذات يوم .. مضى إلى شيخ كامل

فى صدره قلب عامر

فأصغى إلى كلامه جيداً

وهو يضع على فمه خاتم الصمت

قال الشيخ : يا من تطوف بالفلك العالى

انزل إلى الأرض ..واحفظ عهد الوفاء

امض فى الصحارى والفيافى

وجاوز بفكرك الجرىء الأفلاك

يا من تطوى الأفلاك ! امض فى الأرض

لا تمض تبحث عن جوهر الأنجم

لا أقول لك ابتعد عن الأصنام .. فأنت كافر !

فاعقد زنارك كيفما تشاء

يا أميناً على التراث القديم والحضارة العتيقة

لا تترك نهج أجدادك

فكما أن فى اجتماع الشمل حياة الأمة

فإن فى اجتماع الكفر أيضاً وحدة المجتمع

إن الكفر لم يكتمل فيك أيضاً

وصدرك ليس أهلاً لأسرار قلبك

لقد ابتعدنا عن جادة الطريق :

فابتعدت أنت عن آزر

وابتعدنا نحن عن إبراهيم

قيسنا لم يعد يمض خلف المحمل

فلم يصل إلى الكمال فى جنون العشق

إن شمع الذات فى وجودنا انطفأ

فما فائدة أن تطوف .. تفكر فى السماء ؟!

ماج الماء فى حضن جبل " جنك"

فقال نهر الكنج ذات يوم لجبال الهملايا :

يا من تتجمد من صبح وجودك الماء

وتكسوك الأنهر

تحيلك إلى شكل من يرتدى الزنار

جعلك الحق رفيق أسرار السماء

ثم حرمك من أن تخطو خطوة واحدة

فقد سلب من قدميك طاقة المشى

فما فائدة هذا الوقار

وهذه الرفعة وهذه المُكنة ؟

إنما الحياة مسير مستمر

وحياة الموج فى أن يمضى متموجًا

حين سمع الجبل من النهر هذا الطعن والسباب

ثار .. وأطلق بحر نيرانه من الغضب

وقال : أنت مرآة وجهى ..

ألا ترى أننى أحوى فى صدرى مئات الأنهار ؟!

إن هذا السير فيه الفناء

فكل من يمضى عن نفسه مآله الفناء

إنك لا تدرى مقام ذاتك

هل تفخر أيها الأبله بفناء ذاتك

يا من ولدت من بطن الفلك [1]

من الأفضل أن تنزل وتمضى على الساحل

فقد وهبت وجودك إلى بحر غاصب

وعرضت روحك إلى لص يقطع الطريق

كن مثل الوردة فى الروضة

ولا تأبه بأن يقطفك الناس حتى يفوح عبيرك

إن الحياة نماء فى مكانها

وهى قطف الورد من روضة الذات

مرت قرون .. ولا تزال أقدامى ثابتة

هل تظن أننى أبتعد عن منزلى ؟

هل تحسبنى أزول من موضعى ؟

أنا أرتفع ، أطاول الأفلاك علواً

والثريا هناك تستريح على سفحى

أما أنت .. فوجودك يفنى دون أثر فى بحر

بينما قمتى هى مسجد الأنجم

فى غيبى تتراءى أسرار الفلك

وأذناى تسمع حفيف طيران الملك

احترقت دائماً بنار السير المتواصل والجد المستمر

وهكذا احتويت الجواهر والألماس

" وبداخلى صخر ، وفى الصخر نار

ولا يوجد هناك ممر للماء إلى نارى " (٢)

أنت قطرة ! فلا تسكب نفسك عند أقدامك

وكافح الأمواج ، وتعارك مع البحر

اتبع جوهر الماء ، وكن جوهراً

ثم كن قرطاً يزين أذن حسناء

أو زد من نفسك ، وامض سريعاً

وكن سحاباً يبرق

ثم يتحول ثانية إلى أنهار جارية

يستجديك النهر ، يبغى أن يفيض

يشكو العوز من الجفاف ومن الحاجة

يشعر بأنه أقل من موجة

يتوسل إليك .. يدنو منك ذليلاً !

فـى بيان أن مقصد حياة المسـلم هـو إعلاء كـلمـة الـلـه وإن كـان الـبـاعـث عـلـى الـقـتـال والجـهـاد هـو الـسـيـطـرة عـلـى الـبـلاد فـهـو فـى شـريـعـة الإسـلام حـرام

اصبغ قلبك بصبغة الله

وأعط عشقك الصيت وأذعه

طبع المسلم بالمحبة غالب ومنتصر

والمسلم الذى لا يعشق كافر

يغض النظر بالحق ، وينظر بالحق

وفى الحق يكون طعامه وشرابه ونومه

يجعل رضاه فى رضاء الله

كيف يصير هذا الكلام مقبولاً عند الناس ؟!

اضرب الخيمة فى ميدان " لا إله إلا الله "

وتعال إلى دنيا " شاهد على الناس "

يشهد على حاله بنى الإنس والجن

وهو شاهد أصدق من كل الشاهدين

اترك " القال " واطرق باب " الحال"

وأضئْ بنور الحق ظلمة الأعمال

وعش درويشًا فى لباس الأمير

وعش ببصيرة منيرة ذاكراً الله

واقصد قرب الحق من كل عمل

حتى يظهر عليك جلاله وعظمته

فالسلم شر إذا قصدت به غير الله

والحرب خير إذا رمت به وجه الله

إذا لم يعل حق بسيفنا

أصاب العار فى الوغى أمتنا

ها هو حضرة الشيخ ميان ولى مير(١)

الذى يكشف نور روحه كل خفى

يمضى بثبات على طريق المصطفى

يعزف نغمة العشق والمحبة والوفاء

قبره يذكرنا بالإيمان فى تراب مدينتنا

وهو مشعل نور الهداية لنا جميعًا

نجم السماء سجد على بابه

وكان ملوك الهند من مريديه

إلا أن الملك زرع بذور الطمع فى القلب

فساقه الطمع إلى السيطرة على البلاد

أضرم نيران الطمع فى روحه

علم السيف عبارة " هل من مزيد "

فأثار الفوضى فى " الدكن "

وظلت جيوشه تقاتل هنا وهناك

فذهب إلى شيخ الفلك العظيم

حتى ينال منه الدعاء بالتوفيق

المسلم يفر من الدنيا إلى الحق

ويحكم تدبيره بالدعاء

صمت الشيخ بعد سماع قول الملك

وتحول محفل الدراويش إلى آذان صاغية

حتى قدم أحد المريدين

وبيده قطعة نقود معيبة

فقطع الصمت وتكلم

قال : اقبل منى هذا النذر الحقير

فأنت بالحق نصير المساكين

إنني أغرق فى عرقى من الكد والتعب

حتى أنال ذلك الدرهم

قال الشيخ : هذا الدرهم حق لسلطاننا

ذلك الشحاذ الذى بدا فى حلة السلطان

فملكنا الذى ملك الشمس والقمر والأنجم

هو أفقر وأفلس من كل الناس

فعينه على موائد الآخرين

ونار جوعه تحرق الدنيا

القحط والطاعون يحل حيث يكون سيفه

وهو يخرب العالم ليعمر نفسه

الخلق فى صراخ وعويل من عوزه

والمسكين متأذ من خلو يديه

سطوته جلبت عليه عداء أهل الدنيا

فقد قطع الطريق على قافلة الجنس البشرى

من تفكير النفس والخداع والجهل

سمى نهبه انتصاراً

وسمى سلبه للناس فخاراً

عسكر الملك ، والأسرى

جميعهم ينظرون إليه بكراهية

إن جوع السلطان هو فناء للملك والأمة

فمن أشهر سيفه لغير الله

إنما يغمد سيفه فى صدره

نصيحة مير نجاة النقشبندى المعروف بالأب الصحراوى (باباى صحراوى) التى كتبها لمسلمى الهند

يا من أنت مثل الوردة

نبتت من الطين

لقد ولدت من بطن الذات

فلا تترك الذات

واجعل البقاء خاتمتك

كن قطرة ! واشرب البحر

يا من تضىء بنور الذات !

إنما تنال الثبات بإحكام الذات

والربح كامن فى هذه الفائدة

والسيادة كامنة فى هذا المقام

أنت موجود ، وتخشى العدم

لقد أخطأت الفهم يا أسير الوهم

عندى خبر بقيثارة الحياة

لذا سأخبركم بسر الحياة

غُصْ فى نفسك على شاكلة " الدرة "

غُصْ . .وبعد هذه الخلوة ، أظهر نفسك

تصير شرراً يلتهب من تحت رماد

تصير شعلة تحرق الأنظار

فطُفْ حول ذاتك

وكن شعلة !

واجعل من نفسك بيت الحرم

حلق فى اللوح وتحرر من جاذبية التراب

كن مثل الطائر الأيمن واجتهد فى ألا تسقط

أيها العاقل إن لم تكن طائراً

فأبعد عشك إذن عن الغار

فأنت لا تستحق المنزلة الرفيعة [١]

يا من تسعى إلى كسب العلوم

أنصحك بأن تأخذ رسالة حكيم الروم : [٢]

" إنما العلم بالنسبة للجسد نار ولهيب

وهو بالنسبة للقلب برد وسلام "

فاطلع على قصة معلم الرومى

الذى أفاض علينا من دروس علومه

كانت قيود توجيهات العقل تقيد رجليه

كانت سفينته غارقة فى طوفان " ظلمات " العقل

هو موسى لكنه غريب عن سيناء العشق

لا يدرى ما العشق ، وما فائدة العشق

قال بالشك ، وقال بالإشراق [٣]

نظم من الحكم مئات الجواهر البراقة

وحل عُقد قول المشائين [٤]

وأوضح بنور فكره كل خفى

كانت من حوله أكوام من الكتب

وعلى شفتيه أسرار الكتب

ذات يوم

جاء الملا جلال الدين (٥)

إلى مكتب شيخ تبريز (٦)

بأمر من كمال الدين الجنيدى (٧)

قال : ما هذه الغوغاء ؟ وكيف هذا القيل والقال ؟

ما هذا القياس والوهم والاستدلال ؟

قال المولوى الرومى : اصمت يا جاهل

لا تسخر من مقالات المفكرين والعقلاء

اخرج من مكتبى . .

ما شأنك أنت بالقيل والقال ؟ !

إن قولنا فوق فهمك

ومنه يضىء مصباح الإدراك

زادت حرقة شمس الدين من كلام الملا

فقد سحب ناراً من روح التبريزى

وقع برق نظرته على الأرض

فصار التراب من حرقة أنفاسه شعلة ملتهبة

فالتهب الإدراك من نار القلب

واحترقت كتب ذلك الفلسفى

إلا أن المولوى (الرومى) كان لا يدرى شيئاً

عن إعجاز العشق

وكان لا يعرف شيئاً عن نغمات أوتار العشق

قال : هذه النار التى اشتعلت

أحرقت كتب أرباب الحكمة

قال الشيخ شمس تبريز :

يا أيها المسلم الذى تضع الزنّار

ما شأنك أنت ؟ وما أدراك بالذوق والحال ؟!

حالنا فوق فكرك ، فوق فهمك

شعلتنا .. نارنا كيمياء حمراء

الحكمة تعطينا زاداً بارداً

وسحاب الفكر يهطل برداً

زد النار اشتعالاً من هشيمك

زد الشعلة اشتعالاً من رمادك

إن علم المسلم الكامل هو من لهيب القلب

ومقصد الإسلام هو ترك " الآفل "(٨)

فحين صد إبراهيم عن كل آفل

جلس هادئًا سعيداً وسط النيران المشتعلة

لقد ألقيت بعلم الدين وراء ظهرك

أهملته ..

أردت أن تنال من ورائه الدراهم

فيا من تبحث لدينا عن كحل للعين

إنك تغفل ما بعينيك السوادوين من كحل

اطلب ماء الحياة بالخنجر

واطلب الكوثر من فم الثعبان

اطلب الحجر الأسود من على باب بيت الأوثان

واطلب نافة المسك من الكلب المسعور

لا تبحث عن حرقة العشق من علم الحاضر

ولا تبحث عن كيفية الحق من كأس هذا الكافر

لقد أصابنى الهزال الشديد

من السعى والبحث منذ مدة

فصرت عالمًا بسر العلم الجديد

واختبرنى أصحاب البستان

ثم جعلونى محرومًا لأسرار هذه الروضة

هذه ليست جنة بل هى ورود الحكمة

قد ترى الورود المصنوعة من الورق

هل فيها عبير

لا يجب أن أقول إن بها سراب العطر

حين قطعت كل علاقة بهذه الجنة

حين صرت حرًا طليقًا

بقيت معلقًا على فرع طوبى

حيث أتناول أشهى الفواكه

وأعطر ذهنى بأزكى طيب

علم العصر الحاضر هو حجاب أكبر

ففيه يعبد الوثن

وفيه يباع الوثن

وفيه ينحت الوثن

قدماه مربوطتان فى سجن المظاهر

لا يتعدى حدود الحس الظاهر

زلقت قدماه فى صراط الحياة

فوضع الخنجر على حلقه

يمتلك ناراً خامدة

مثله مثل شقائق النعمان

يمتلك شعلة تبرق مثل بريق الندى

لكنها باردة

خلت قطرته من حرقة العشق

فلم يوفق فى دنيا البحث والسعى

العشق أفضل كثيراً

لعلل العقل الأفلاطونية

فمبضع العشق هو الذى يشفى العقل

العالم عاشق والعشق مسجود

ومحمود [٩] عاشق وسومنات [١٠] معشوق

كأسه فارغة من الصهباء

وليله .. كتب له أن يكون خاليًا

من دعاء " يا رب "

لم تعرف قيمة سروك العالى

فأخذت تتغنى بسرو غيرك

مثل الناى ، أخلى نفسه من ذاته

وجعل يتغنى بألحان الآخرين

يا أيها الشحاذ المتسول طعامك من مائدة غيرك

أتبحث عن طعامك فى دكان غيرك ؟!

أضاء محفل المسلم من مصباح الغير

فأحرق شرر الدير مسجده

حين خاف غزالنا سواد الكعبة

انطلق بعيدًا فرماه الصياد

اضطرب ورق الورد من عطره حين تفرق وانتشر

يا من تبتعد عن نفسك .. ارجع إلى نفسك

يا أمين سر حكمة " أم الكتاب"

هل يمكن أن تعود إلينا وحدة ماضينا الضائعة

نحن حماة حضن الأمة

كافر من يترك شعار الملة

لقد تحطم كأس الساقى القديم

وانفض حفل ندماء الحجاز العظيم

والكعبة تعمر من أصنامنا

بينما الكفر يضحك على إسلامنا

والشيخ باع الإسلام بعشق الأصنام

وجعل من سبحته زنارًا

وشيوخنا صاروا شيوخًا ببياض شعورهم فقط

فصاروا أضحوكة للأطفال أينما ذهبوا

وخلا القلب من " لا إله إلا الله "

فصار بيتًا لأهواء أصنامه

كل من يطيل شعره ويلبس الخرقة

صار يتاجر بالدين

يسافر ليل نهار مع المريدين
لا يدرى شيئًا عما تحتاجه الأمة
عيون مثل النرجس فقدت نورها
وصدور أفلست من ثروة القلب
الوعاظ والمتصوفة عبدوا المناصب
أضاعوا كل اعتبار للأمة المسلمة
واعظنا عيناه مثبتة على بيت الأوثان
ومفتى الدين المبين يبيع الفتوى بالدراهم
"يا رفاقى ! كيف يكون تدبيرنا بعد كل هذا ؟"(١١)
فشيخنا ولى وجهه تجاه الحانة ؟!

الوقت سيف (١)

خضّر الله تراب الشافعى الطاهر
فتن العالم كله هذا الشافعى
فكره صاد كوكبًا من الفلك
حين سمّى الوقت سيفًا باترًا
ماذا أقول عن سر هذا السيف ؟

إن لمعانه هو رأس مال الحياة

صاحبه أسمى وأعلى من الخوف والرجاء

يده بيضاء أبيض من يد الكليم

بضربة واحدة يلين الحجر

ومن نداه يمتلئ البحر

وهذا السيف كان فى كفٍ موسى

له شأن أعلى من التدبير

شق صدر البحر الأحمر

جعل القزم جافًا كأنه يابسة

أما كفُّ الحيدر يوم خيبر

فكانت قوته من نفس هذا السيف

يجب أن نتمعن فى دوران السماوات

ويجب أن نتفهم حقيقة ثورة الليل والنهار

يا أسير الأمس والغد .. انظر !

انظر فى قلبك والمح عالمًا آخر !

لقد زرعت فى طينك بذرة الظلمة

وحسبت الوقت خطا طويلاً

أخذت تحسبه بالليل والنهار

وهكذا حسبت فكرك بطول الأيام

وجعلت هذا الخيط زنَاراً

وصرت مثل الأصنام تبيع الباطل

كنت إكسيراً

فصرت قبضةً من تراب

لا قيمة له

لقد ولدت لتكون سراً للحق

فصرت باطلاً !

يا من غفلت عن أصل الزمان

يا من غفلت عن حياة الخلود

إلى متى تبقى أسيراً فى الليل والنهار

افهم ! تذكر سرّ الوقت بفهم الحديث النبوى

" لى مع الله وقت "(٢)

كل ما يظهر من هذا وذاك

إنما يظهر من سير الوقت ومضيه

فالحياة سر من أسرار الوقت

وأصل الوقت ليس من دوران الشمس

فالوقت خالد وهي ليست بخالدة

الوقت فيه المتعة وفيه الغم

فيه الاحتفال بعاشوراء والاحتفال بالعيد

الوقت هو سر ضياء الشمس والقمر

الوقت مثل مكان منبسط

وهو يفرق بين اليوم والأمس

يا من هربت من بستانك !

وبنيت بيديك سجنك

أين الأول والآخر من وقتنا ؟ !

إنه يتنفس من رياض ضميرنا

الحي من عرفان أصله

يصير أكثر حياة

ويصير وجوده أكثر ضياءً من ضوء السحر

الحياة من الدهر ، والدهر من الحياة

قال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا الدهر [٣]

أقول لك نكتة كالدر

حتى تعرف الفرق بين العبد والحر

العبد حيران فى الليل والنهار

والزمان حيران فى قلب المؤمن

ينسج العبد من الأيام كفناً

ويخضع نفسه للأيام والليالى

بينما الحر ينجو من سر الطين

ويجعل الأيام تحت إمرته

العبد مثل طائر وقع فى فخ الأيام والليالى

فحرم نفسه من لذة الطيران

صدرُ الحر مملوء بالأنفاس السريعة

جعله لطائر الأيام قفصاً

فطرة العبد تحصيل حاصل

واردات روحه لا جدة فيها

مقامه خامد هامد

صبحه مثل ليله بكاء في بكاء

شأن الحر إبداع جديد كل لحظه

وأوتاره تأتي بالنغمات الجديدة المتواصلة

الأيام للعبد سلاسل وقيود ولا شيء غير هذا

تجرى على لسانه دومًا كلمة القضاء والقدر

همة الحر تجعله يشير على القدر بما سيحدث

وتجعل يده تبدع حوادث الدهر والخطوب

الماضي والمستقبل في وجوده

والآجل يكمن في عاجله

ضاق هذا الكلام عن معناى

وعجز الإدراك أيضًا عن هذا الكلام

قلت واللفظ خجل من المعنى

شاكيًا إياه : ما شأنه بي ؟

المعنى الحي يموت إذا ما حبس في اللفظ

ناره تخمد من أنفاسك

سر حضور فى القلب

ورمز مرور فيه

إن ربابة الوقت لها لحن صامت

يدخل القلب فيكشف عن سر الوقت

أتذكر تلك الأيام حين كان سيف الزمان

صديقًا ..

فكان فى أيدينا القوية حليفًا

وقتها زرعنا بذور الدين فى حقل القلوب

وكشفنا السر عن وجنتى الحق

وحلّت أظفارنا عقدة الدنيا

وكان حظ هذا التراب الطيب

فى سجودنا عليه

وزعنا عبير الورود من دنان الحق

وأغرنا على الحانات القديمة

يا من تحمل فى كأسك الخمر القديمة

يا من تلمع كأسك من صهبائك

إنك تسكر من الغرور والاختيال والكبر

وتسخر منا على فقرنا وعوزنا

كأسنا كانت زينة المحفل

صدرنا كان به قلب

إن ما تراه من ضوء ونور فى هذا العصر

إنما كان من غبار أقدامنا

فقد ارتوت مزرعة الحق من دمنا

وعز بنا أهل الحق فى هذه الدنيا

كبّر العالم حين كبرنا

وشيدت الكعبات من ترابنا

علمنا الحق " اقرأ "

وجعل رزقنا فى أيدينا

فإذا ما ضاع منا التاج والخاتم

فلا تستهزئ بنا نحن الفقراء المتسولين

ولا تنظر إلينا باحتقار

فإن كنا فى نظرك فى خسر

فكبار المفكرين القدامى

هم أجدادنا .

نملك عزة ، ونملك اعتباراً (من الله)

فنحن حراس الدارين

لقد تركنا حزن اليوم والغد

وقمنا بالوفاء بعهد المحبة لحبيب واحد

نحن سر مكنون في قلب الحق

نحن ورثة موسى وهارون

لا يزال ضوء الشمس والقمر اليوم من نورنا

والبرق إنما ينبعث اليوم من سحابنا

ذاتنا مرآة ذاك الحق

ووجود المسلم من آيات الحق

دعاء

يا إلهى ! يا روح الكائنات السارية

أنت روحنا ، وأنت عنا فى حجاب

نغمة من فيضك فى " عود " الحياة

والموت فى طريقك محسود الحياة

يا إلهى ! أعد الهدوء والسكينة من جديد

إلى أصحاب القلوب البائسة

وأعد العمار إلى الصدور الخربة من جديد

يا إلهى ! اطلب منا أن نؤدى الواجبات العظيمة

وألهب مشاعر العشاق الخامدة

حتى تنضج أكثر فأكثر

إننا نشكو الأقدار ..

سعرك غال ونحن معدمون لا نملك شيئًا

يا إلهى ! لا تخف عن الفقير هذا الجمال

بع لنا بثمن معقول

عشق سلمان وبلال (رضى الله عنهما)

يا إلهى ! امنحنا عيناً ساهرة

وفؤاداً قلقاً

وأعد إلينا اضطراب الزئبق

يا إلهى ! أظهر لنا آية من الآيات المبينة

حتى نرى أعناق قوم خاضعين (١)

أوقد جبل النار من هذه الأعواد

وأحرق بنيراننا كل ما سوى الله

حين أضاع القوم رباط الوحدة

وقع فى عملنا مائة عقدة وعقدة

ومضينا فى العالم مبعثرين مثل النجوم المشتتة

مضينا رفاقاً لكن الواحد منا غريب عن الآخر

يا إلهى ! أعد لنا نظم هذه الأوراق المبعثرة فى خيطها

أعد لنا دستور الحب من جديد

يا إلهى ! أعدنا إلى خدمتك مرة أخرى

وفوض عملك إلى عاشقيك

هب لقافلتنا منزل التسليم والطاعة

وهب لنا قوة إيمان إبراهيم

أطلع العشق على شغل " لا إله "

وعرفه برمز " إلا الله "

أنا أحترق من أجل الآخرين مثل الشمعة

وأعلم محفلى البكاء وسكب الدموع مثل الشمعة

يا إلهى ! إن الدموع تلهب القلب

تجعله مضطرباً لا قرار له ، ولا راحة لديه

أبذر الدموع فى الروضة فتنمو شعلاً

وهكذا تغسل نار دموعى لهيب شقائق النعمان الباردة

القلب فى الأمس بينما عيناى على الغد

أنا وحيد وسط هذا الجمع

" ظن كل إنسان أنه رفيق لى

لم يبحث فى داخلى عن أسرارى " (٢)

يا إلهى ! أين نديمى فى هذه الدنيا

أنا نخل سيناء فأين يا ربِّ كليمى ؟ !

كم أوقعت بنفسى من مظالم !

كم من شُعل أشعلتها فى حضن نفسى

شُعل تغير على متاع العقل

علمتُ العقل جنونًا

فأحرق هذا العلم متاع الوجود

نالت الشمس من حرقتها مقامًا فى الأفلاك

هناك حيث البرق فى طواف دائم من حولها

صرت مثل الندى قطرات دموع تهطل

فى حرقة ووقدة

حتى صرت محرم أسرار النيران الخفية

علمت الشمع الحرقة الظاهرة

واحترقت أنا فى الخفاء

بعيدًا عن أعين العالم

وفى النهاية ..

ظهرت فى كل شعرة من جسدى شعلة

وصار كل شريان فكر بداخلى يقطر ناراً

وصار بلبلى يلتقط هذا الشرر

كأنه الحب

فانبعثت بداخله نغمات ملتهبة

صدر عصرى خال من القلب

كالمجنون مضطرب

لأن المحمل يخلو من ليلى

يخفق الشمع وحيداً

ليس هذا بسهل

آه ! لا يوجد من بين فراشاتى من هى أهل له

إلى متى انتظار الغم ؟

إلى متى البحث عن محرم الأسرار ؟

يا من يستنير منه القمر والأنجم

خذ نارك من روحى

خذ هذه الأمانة من صدرى

اسحب من مرآتى جوهرها

أو هب لى رفيقًا من الرفاق القدامى

أعطنى مرآة محرقة لعشق العالم

الموج فى البحر

ونحن على جناح الموج

ومن طبيعة الموج أن يمضى دائمًا فى صحبة

وعلى الفلك يمضى الكوكب نديمًا للفلك

والليل يحنو على القمر المضىء

والنهار يمضى يتبع الليل دائمًا

واليوم يسير يسبق الغد

ووجود نهر يذوب ويفنى

فى وجود نهر آخر

ونسيم ريح يذوب فى نسيم آخر

وفى كل ركن خرب

يرقص مجنون جُنَّ برقصه

إنك فريد في ذرات ذاتك

لقد زينت عالمًا من أجل نفسك

أنا مثل زهرة شقائق النعمان البرية

أنا وحيد وإن كنت وسط الحقل

أريد رفيقًا .. أريد صديقًا

وآمل في لطفك يا إلهي

أن يكون محرمًا لرموز فطرتي

رفيقًا مجنونًا

لا يدرى شيئًا عن فكر هذا أو ذاك

حتى أهبه الذات بروحه

وأستعيد رؤية وجهي في قلبه

وأسويه بطيني

أشكل صورته

وأكون له مثل الصنم

وأكون أيضًا " آذره "

أكون صانعه

الهوامش

(١) الشاعر نظير النيسابورى من شعراء الفارسية ، وهو يشير هنا إلى جذع النخلة " حنانة " الذى بكى على فراق الرسول صلى الله عليه وسلم له ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخطب عنده وحين انتقل إلى مكان آخر صدر عن الجذع أنينٌ مثل صوت البكاء سمعه الصحابة ، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بدفنه .

(٢) يحكى أن جمشيد الملك الفارسى كان يملك كأسًا يرى فيها العالم كله ، وهنا يشير الشاعر إلى رؤية ما لا يُرى وإدراك ما هو غير موجود

(٣) فى الأصل " زردشتى نارى " ، أى المجوس أتباع زردشت الذين يقدسون النار ، وهو يقول يعنى من يلتف حول نارى من أتباع زردشت.

(٤) يشير إقبال كثيراً إلى سيناء ، وإلى طور سيناء ، ويربط هذا بالكليم سيدنا موسى (عليه السلام) الذى كلمه الله تكليماً.

(٥) هنا بمعنى بحر .

(٦) وسيناء هنا كناية ، وفيها إشارة إلى قصة سيدنا موسى (عليه السلام) فى سيناء حين طلب أن يرى الله ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ ، سورة الأعراف / ١٤٣ .

(٧) جمشيد أحد ملوك الفرس القدماء .

(٨) شيخ الروم هو مولانا جلال الدين الرومى صاحب المثنوى الشهير ، وإقبال يعتبره شيخًا وإمامًا له ، انظر ترجمة المثنوى للدكتور إبراهيم شتا ، المشروع القومى للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة .

(٩) ويقصد الشاعر هنا كتاب المثنوى ، ونظرًا لمكانته لدى العلماء يقولون بأنه تفسير القرآن بالفارسية (البهلوية) .

(١٠) استخدم إقبال هنا فعل الأمر العربى قم كما هو ، وبالطبع استخدم اللفظ لأنه مفهوم ، وهو مأخوذ من القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ قُم فَأَنذِرْ ﴾ المدثر /٢ .

(١١) حين نزل الإسلام على محمد صلى الله عليه وسلم وحول الناس من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام .

فى بيان أن أصل نظام العالم من الذاتية

(١) يلقى الشاعر بالضوء على مفهوم الذات .

(٢) الأضداد .

(٣) إشارة إلى حكاية شيرين وفرهاد وهى من روائع الأدب الإيرانى .

(٤) وادى ختن مشهور بالظباء التى يؤخذ منها المسك .

(٥) أى أنها بحاجة إلينا .

(٦) شجر الجنار بجيم فارسية مثلثة شجر أوراقه حمراء تبدو من بعيد كأنها نيران مشتعلة ، وإقبال يقول بأن هذه الأشجار تثبت ذاتها لأن حبتها قوية .

فى بيان أن حياة الذات موقوفة على تخليق المقاصد وتوليدها

(١) هنا يود الشاعر أن يقول اختر لنفسك مرشداً مثلما اختار جلال الدين الرومى لنفسه شمس تبريز مرشداً له أى أذب وجودك فى وجود مرشدك أو اتبع أحكام مرشدك .

(٢) يشير إقبال إلى حبه للرسول صلى الله عليه وسلم ويصرح بذلك فى الأبيات التالية .

(٣) يقول الشاعر إن بيته كان فى كل لحظة مهبط التجليات الإلهية ، بينما الطور كان مهبط تجل واحد ، وإن بيته بمنزلة بيت الحرم من الكعبة.

(٤) الخسروى بمعنى الخالد .

(٥) قصة ابنة حاتم الطائى التى أسرها المسلمون ، وجاءوا بها إلى المدينة ، فأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلقها معززة مكرمة .

(٦) " لا تثريب عليكم " إشارة إلى الآية الكريمة " .. ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ، وهى تتعلق بعفو الرسول صلى الله عليه وسلم عن قريش يوم فتح مكة ، سورة يوسف آية ٩٢ .

(٧) يبدأ الشاعر هنا فى بيان عواطف العشق .

(٨) إشاره إلى قصة حنانة سابقة الذكر .

(٩) يشير الشاعر إلى أن وجودنا نحن المسلمين كان عن طريقه فلو لم يكن الرسول لما كنا نحن أيضاً .

(١٠) يشير إلى شاعر الفارسية المعروف عبد الرحمن الجامى ، والذى عاش فى القرن التاسع الهجرى ويعد من الصوفية الكبار .

(١١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ إن كُنتُمْ تُحبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ الآية ٣١ آل عمران.

(١٢) فاران اسم مكة قديمًا ويطلق أيضًا على الجبال المحيطة بها ، انظر قاضى سليمان المنصور بورى رحمة للعالمين ترجمة سمير عبد الحميد ط دار السلام الرياض ١٩٩٧م .

(١٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إنّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية ٢٠ البقرة .

فى بيان أن الذات تضعف بسؤال الآخرين

(١) حين نزل من على راحلته وأخذ بنفسه درته التى سقطت منه ولم يدع أحدًا يساعده فى ذلك .

(٢) أى ذاتك .

(٣) مبارك الشخص الذى يتحمل العطش رغم حرارة الجو ولا يطلب كوب ماء من أحد .

(٤) إشارة إلى الأثر النبوى " الكاسب حبيب الله " .

(٥) أى بثمن بخس .

فى بيان أن الذات تستحكم بالمحبة

(١) إشارة إلى واقعة انشقاق القمر .

(٢) دارا وجمشيد من ملوك الفرس .

(٣) إشارة إلى قصة للشيخ أبى على شاه قلندر البانى بتى ، واسمه شرف الدين وأبو قلندر لقبه ، ولد فى بانى بت سنة ٦٠٥ هجرية ، والواقعة التى يشير إليه إقبال حدثت بين الشيخ والسلطان علاء الدين الخلجى من سلاطين الدولة الخلجية فى الهند .

(٤) أى الشرك .

(٥) إشارة إلى نشره للإسلام فى منطقة عمها الشرك .

(٦) وهو يشير إلى الشاعر أمير خسرو الذى كان ماهراً فى فن الموسيقى بل اخترع بعض المقامات .

حكاية فى معنى أن مسألة نفى الذات

(١) يقصد بخيل شيراز الأسود .

فى بيان أن أفلاطون اليونانى

(١) أى يميت قوة العمل .

فى حقيقة الشعر

(١) بهزاد : مصور إيرانى برع فى التصوير ، ورغم ذلك فقد شوه صورة العشق .

(٢) إشارة إلى قول الشيخ حسام الحق ضياء : " أمسيت كردياً، وأصبحت عربياً " .

فى بيان أن تربية الذات ثلاث مراحل

(١) يقصد الشريعة .

(٢) إشارة إلى قصة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل .

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾ العنكبوت الآية ٤٥ .

(٤) يشير إلى قوله تعالى .﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ آل عمران الآية ٩٣ .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ الآية الأولى فى سورة الإسراء .

(٦) إقبال هنا ذكر بأن آل فرعون غرقوا فى النيل ، ومن المعروف أنهم غرقوا فى بحر القلزم .

(٧) أى الإنسان .

فى شرح أسرار أسماء على المرتضى رضى الله عنه

(١) هكذا يعتقد الشيعة وقصة أبو تراب معروفة .

(٢) أى الجسم .

(٣) إشارة إلى معجزة تنسب إلى سيدنا على

(٤) إشارة إلى حديث ليس بصحيح لدى المحققين .

(٥) هناك خرافة تقول بأن جمشيد كان يمتلك كأساً يرى بها أقاليم العالم السبعة .

(٦) أى تفصل بين الحق والباطل .

قصة فتى من مرو

(١) الشيخ على الهجويرى من كبار الصوفية ، وفد على البنجاب وتوفى سنة ٤٦٥هجرية، وكانت ولادته فى هجوير إحدى قرى غزنة ، وهو صاحب الكتاب المعروف " كشف المحجوب لأرباب القلوب" . أما الجشتى الذى يذكره الشاعر فى البيت الأول فهو أيضاً

من الصوفية ومن كبار الدعاة فى الهند ، توفى فى مدينة أجمير سنة ٦٣٢ هجرية ، وكان الجشتى قد زار الهجويرى وبقى عنده مدة .

قصة الشيخ والبرهمى

(١) يعتقد الهندوس أن نهر الكنج ينبع من السماء .

(٢) البيت لجلال الدين الرومى مع تغيير طفيف .

فى بيان أن حياة المسلم

١- ميان ولى مير هو مير محمد من رجال التصوف ولد فى السند سنة ٩٣٨هجرية ، وقد عاش فى لاهور ونال احترام الإمبراطور جهانكير وابنه شاهجهان ، وتوفى فى لاهور سنة ١٠٤٥هجرية ودفن بها.

نصيحة مير نجاة النقشبندى

(١) إشارة إلى قصة الغار والحمامة التى بنت عشها فى مدخله .

(٢) يقصد جلال الدين الرومى والبيت التالى له .

(٣) الشك والإشراق مدرستان قديمتان ، ومدرسة الشك للشيخ شهاب الدين السهروردى الذى قتله صلاح الدين بناء على فتوى علماء زمانه ، والإشراق كان نتيجة لفلسفة أفلاطون .

(٤) الجماعة التى كانت تتبع أرسطو .

(٥) جلال الدين الرومى .

(٦) شمس الدين التبريزى الذى أرشد جلال الدين الرومى إلى التصوف .

(٧) كمال الدين الجنيدى هو شيخ شمس الدين التبريزى .

(٨) إشارة إلى قصة سيدنا إبراهيم التى وردت فى القرآن الكريم حين قال : ﴿ لا أُحبُّ الآفِلِينَ ﴾ ، الآية ٧٦ الأنعام ، وإقبال هنا يشير إلى ترك ما يأفل أى ما يخمد .

(٩) أى محمود الغزنوى الذى فتح الهند ، ويعد المؤسس الحقيقى للدولة الغزنوية ، وإقبال يقول بأن العشق مثل محمود والعقل مثل الأصنام ، ومن المعروف أن محمود الغزنوى لقب بمحطم الأصنام ، وبخاصة بعد أن أراد الكفار أن يعطوه ثمناً باهظاً نظير عدم تحطيمه لسومنات فقال : جاء محمود ليحطم الأصنام لا ليبيعها.

(١٠) هنا شبه سومنات بالعقل الذى حطمه العشق كما أوضحنا من قبل .

(١١) هذا المصرع للشاعر حافظ شيرازى .

الوقت سيف

(١) مقولة للإمام الشافعى رضى الله عنه .

(٢) يشير إلى الأثر " لى مع الله وقت لا يضمنى فيه نبى مرسل ولا ملك مقرب " ، وكما شرح الدكتور عزام فالشاعر يقول إن الوقت حال الإنسان لا ساعات الفلك ، انظر ترجمة عزام ص ٦٤ ط دار المعارف ١٩٥٥م .

(٣) إشارة إلى الحديث المأثور عن النبى .

دعـــاء

(١) تلميح إلى الآية الكريمة ﴿ إن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ آية ٤ الشعراء .

(٢) هذا البيت لجلال الدين الرومى .

رموز نفى الذات

(رموز بى خودى)

" اجتهد فى نفى الذات حتى تدرك الذات

أسرع .. والله أعلم بالصواب "

جلال الدين الرومى

أشعار مهداه إلى الأمة الإسلامية

لا يستطيع أن ينكر ما قد أبوح به من عشق

فأنا لا أصف آلامى لكنى أصف آلامه هو

«عرفى»

يا من ختم بك الله الأمم

فجعلك خاتم المرسلين

وهكذا اختتم بك كل بدء

أنت نموذج للأنبياء الأطهار الأتقياء

أنت رفاء جرح القلوب

أيها النظر ! لقد انخدعت بحسن النصارى [١]

فابتعدت عن طريق الكعبة

أيها الفلك ! أنت قبضة غبار صحراء الأمة

التى يشاهد العالم طلعتها

لقد مضيت أيتها الأمة مثل موج النار

عارية الأقدام

إلى أين تمضين تقصدين التفسح والتفرج ؟!

تعلمى رمز الحرقة من الفراشة

وابنى عشك بين الشرر

اطرحى العشق فى روحك

وجددى عهدك مع المصطفى

أنوء بقلبى عن صحبة النصارى (٢)

حتى يرتفع النقاب عن وجهك

تحدث رفيقى عن حسن الآخرين وجمالهم

حكى قصة الطرة والخدود

جبينه على باب الساقى

يحكى قصة غلمان المجوس

أنا شهيد خنجر حاجبيك

أنا تراب أستريح فى وادى صحرائك

أنا أرفع من أن أنظم أشعار المدح فى هذا وذاك

فلم أفض الرأس في بلاط أي أمير

صنعت من شعري مرآة

فصرت مستغنياً عن الإسكندر[٣]

لا أسلم رقبتي منة لإحسان أحد

حتى إن حجري يخلو

من براعم الأزهار في الروضة

أمضي في هذه الدنيا قوياً صلباً مثل الخنجر

وماء ذاتي مثل حجر الصوان

ومع أنني بحر

فإن موجي مختلف عن موج بقية البحار

فليس في كفي كأس دوامة

أستجدي من الآخرين

أنا ستارة لون

لا عطر لي حتى تنالني ريح الصبا

صيداً لها

أنا كامن في شرر الحياة

جعلت من رمادى خلعة لى

روحى قصدت بابكِ فى خشوع

حاملة الحرقة والدموع هدايا

ومن السماء الزرقاء

يقطر فوق القلب بحر

لا تتوقف حرقته لحظة واحدة

فأجعل من القطر نهراً

يمضى مثل خيط رفيع

أقدمه إلى ساحة روضتكِ

أنتِ محبوبة لأنك محبوبة حبينا (صلى الله عليه وسلم)

أنتِ مثل القلب كامن فى صدرنا

صبَّ العشق فى صدرى ألوانًا

من الحرقة والآهات

ناره جعلت من فؤادى مرآة

وشققت مثلما الورد صدرى

أكشف عما به

وعلقت هذه المرآة أمامكِ

لتشاهدى أيتها الأمة حقيقتك

وتلقى بنظرة على وجهك

وأنت مقيدة فى خصلات شعرك

ثم أحكى قصة ماضيك

فأقلب المواجع وأفتح جراحات صدرك

أطلب من الحق حياة قوية لهؤلاء القوم

الذين جهلوا قيمتهم ولم يعرفوا أنفسهم

أنوح فى صمت الليل البهيم

وبينما العالم كله نائم

أسكب أنا حر الدموع

روحى محترقة من الصبر ومن السكون

بينما أردد " وِردى " : " يا حى يا قيوم "

أمنية فى داخلى جعلتها دمًا

حتى أظهرها من خلال دموعى

إلى متى أحترق مثل شقائق النعمان ؟

وإلى متى أستجدى الندى من سحر الفجر ؟

دموعى تنهمر فوقى مثل دموع الشمع

أضىء الليل بلهيبى مثل الشمع

أنشر النور وأحرق نفسى

لأضىء محفل الآخرين

لا أجد فرصة لنفس واحد أخرجه

بسبب حرقة الصدر

فأسبوعى كله عمل

وليس فيه يوم جمعة

إن روحى بداخل جسد متهالك

وهى آهة تظهر فى ثوب غبار

منذ خلقنى الحق منذ صبح الأزل

لا تزال أنّاتى ترن فى أوتار عودى

أنات تفشى أسرار العشق

حسرات دامية تنطق بالعشق

تحيل الهشيم إلى نار محرقة

وتجعل من التراب فراشًا يحلق

من حولها

هى للعشق جرح

هى للعشق وسم مثل شقائق النعمان

وهى فى كم العشق مثل وردة تنوح

أقدم هذه الوردة إلى فؤادك

وأثير محشر نومك وغفوتك

حتى أرى فى ترابك الرياض تزهر

وحتى أرى فى أنفاسك ريح صبا الربيع

إن ارتباط الفرد بالأمة رحمة

رموز نفى الذات

تمهيد
فى معنى ارتباط الفرد والأمة

جوهره يكمل بالأمة

فكن دائمًا - وبقدر الإمكان - رفيقًا للجماعة

وكن ضوءاً وضياءً بين جماعة الأحرار

اجعل ما قاله " خير البشر " حرزًا لروحك

" من ابتعد عن الجماعة شيطان " (١)

الفرد مرآة للأمة والأمة مرآة للفرد

هما سلك وجواهر

هما نجوم تلمع فى درب التبانة

ينال الفرد الاحترام بالأمة

والأمة تنتظم بأفرادها

وإذا الفرد ذاب فى الجماعة

صار مثل قطرة تتسع وتتسع لتشكل بحراً

هو أساس سيرة الماضى

وهو مرآة الماضى والمستقبل

ذاته صلة المستقبل والماضى معًا

أوقاته مثل الأبد لا نهاية لها

بالأمة يظهر فى قلبه ذوق الظهور والنماء

وبالأمة يكون سعيه وعمله

صورته من الأمة ، وروحه أيضًا من الأمة

ظاهره من الأمة ، باطنه من الأمة

كأنه إن نطق ، نطق بلسانها

فهو يمضى على درب السلف

يصير أكثر نضجًا من حرارة الصحبة

فهو فرد وهو أيضًا أمة

تستقيم وحدته بالكثرة ، والكثرة تصير وحدة

إن أخذت كلمة من بيت الشعر فانظر .. ترَى

جوهر المعنى فى البيت قد اختل

تسقط الأوراق الخضراء من غصنها

وهكذا تحرم من وصل الربيع

إذ ينقطع خيط أملها فى فصل الربيع

كل من لم يشرب من ماء زمزم الأمة

يبرد لهيب نغمات قيثارته

الفرد الوحيد المنفصل عن الجماعة

غافل عن المقاصد

تميل قوته إلى التبدد والخمول

بينما الأمة جمعت شمل وجوده

ولملمت عليه ، ومسحت وجهه اللطيف

كأنها ريح الصبا

ثبتت أقدامه على الأرض فصار مثل السرو

وهكذا قيدت يديه ورجليه بقيد الجماعة

حتى تمنحه الحرية

مثل أسير حلقة الانضباط والقانون

غزال يهوى الوثب ، عبق بالعطر

لم تعرف " إثبات الذات " من " نفى الذات"

فى ترابك جوهر نور

بشعاع منه نلت نور الإدراك

سعادتك من سعادته

حزنك من حزنه

أنت حى من ثورته المستمرة

واحدٌ لا يُثنى .. أنا منه أنا

وأنت أنت

إنه يمتلك النفس ، يستعيدها ، يشكلها

يوجد دلالها الكامن فى خضوعها

نار من حرقته ترتفع

وهذا الشرر يعلو الشعلة

يسيطر عليها

فطرته حرة ، رغم أنها رهينة السلاسل

جزؤه يحيط ، يمسك الكل بقوة

الكفاح المستمر من طبعه

يطلق عليه الذات ، ويطلق عليه الحياة

حين يخرج من خلوته

يواكبه ضجيج مثل ضجيج الجهاد والقتال

وحين يستثير الحرب فى جلوته

فإن نقش " هو " يثبت على قلبه

ويخرج " أنا " من الداخل فيصير " أنت "

وهكذا ينقش على القلب " هو "

وتتحول " أنا " إلى " أنت "

يقطع عليه الجبر اختياره

وبالحب يسمو غضبه ويعلو

حين تكون العظمة عظمة مفردة

لا يظهر فيها الاحتياج

وحين تتجمع العظمة مع العظمة

يظهر فيها الاحتياج

وتتبعثر الذات داخل جماعتها

حتى تتحول زهرة الذات المفردة

إلى روضة

هذه حكمة محكمة مثل السيف الفولاذ

" فإذا لم تفهم فابتعد عنى " (٢)

فى معنى أن الأمة تنشأ من اختلاط الأفراد . وبالنبوة تكمل تربيتها

بأى شكل أحكى عن ارتباط الناس معًا

فبداية هذه الحكاية ذهب فى طى النسيان

نرى فردًا فى الجماعة

نقطفه مثلما نقطف الوردة من الروضة

فطرته تميل إلى الوحدة والتفرد

مع أن فى وجوده زينة للجماعة (١)

إن نيران ميدان قتال الحياة

تحرق الفرد على درب الحياة (٢)

إن طبيعة الجماعة أن يعمل أفرادها معًا

مثلما الدر يجمعه خيط واحد

صاروا جماعة فى معترك الحياة

مثل أصحاب عمل تماسكوا معًا

إن محفل الأنجم إنما يكون

بسبب الجذب المتواصل

ويستحكم وجود كل كوكب ويقوى

بوجود الكوكب الآخر

كانت خيمة القافلة

هى الجبل والهضاب

وهى المروج والتلال والصحراء

أصابه الضعف .. ووهن نسيجه

فلم تتفتح بعد برعم زهرة فكره

قيثارة برقه لم تترنم بعد بلحنه

ونغماته لاتزال فى حجابها لم تكتمل بعد

لم يسع إليه مضرب ليثير نغماته

كما أن خربشات الأمانى لم تؤثر فيه

محفله الوليد ليس فيه متاع

وكأسه لم تنل بعد شيئاً من شرابه

وحتى الآن

لم تنبت الخضرة الجديدة في ترابه

وحتى الآن

لا تزال دماؤه باردة في عروق كرمه

فكره منزلٌ لغيلان الأفكار وحورياتها

وكل عمله هو الخوف والفرار من وهمه وظنونه

حتى الآن

وجوده الصامت ميدان ضيق

وحتى الآن

فكره حبيس داخل جدرانه وتحت سقفه

ومتاع طينه خوف الروح

وقلبه يرتعد من عصف الريح

بينما روحه تهرب من السعي والكد

وأصابعه لا تقدر على الضرب

في حضن الفطرة

كل ما يفعله

هو أن يقطف ما ينبت على الأرض

كل ما يفعله

هو أن يلقف ما يسقط من فوق

متى يخلق الله صاحب قلب ؟!

متى تكتب الكتب بكلمات قليلة؟!

متى يأتى عازف

يعزف لحن الدين والدنيا

فيهب التراب حياة جديدة ؟!

فتقتبس منه الضوء

تلك الذرة التى لا أساس لها

يصدر كل شىء فى الحياة الجديدة منه

فمن نفس واحد من أنفاسه

تخلق مئات الأشكال

ويتلون المحفل بكأس واحدة من كئوسه

عينه جذابة ، شفته تهب الروح لمن لا روح له

حتى تنتهى " الثنائية " وتظهر " الوحدوية "

نظرته تجذب البعيد إليه

حتى يصيرا كنفس واحدة

سلسلة الفيوض الروحانية

لصاحب القلب (صلى الله عليه وسلم)

متصلة بالسماء

لقد أذاب قطع الحياة

فجعلها كلاً واحداً(٣)

دربه يهب رؤية جديدة

فتصير الصحراء الجرداء

كأنها روضة خضراء

من حرارته تنضى الأمة

ثائرة جادة مجتهدة

أشعل شرارة فى قلبها

فتحولت شعلاً تحيط بطينها

خطو أقدامه يهب التراب البصر

فإذا الذرة الصغيرة تبدو للعين

كأنها طور سيناء

منح العقل العريان رداء

منح هذا العبد المفلس ثروة

ينفخ الجمرة فى حضن العقل

حتى يميز الخبيث من الطيب

يحرر العبد من قيود أسره

ويحرر المملوك ممن يملكه

يقول له : أنت لست بعبد للآخرين

هل أنت أقل قدراً من هذه الأصنام التى لا تنطق ؟

يجذب الإنسان نحو هدفه

ويجعل حلقة الشرع فى قدميه حيثما مضى

ويعلمه نكتة التوحيد من جديد

ويرشده إلى دستور الطاعة من جديد

الأركان الأساسية للأمة الإسلامية

الركن الأول : التوحيد

دار العقل فى دنيا " الكيف " و " الكم "

فحمله التوحيد إلى المنزل

وإلا .. فكيف لهذا المسكين أن يجد " المنزل "

وكيف لسفينة الإدراك أن تجد الساحل

أهل الحق يعرفون رمز التوحيد

فهو مضمر فى " آتى الرحمن عبداً " (١)

يظهر التوحيد سراً من أسرارك

بعد أن يختبرك بعملك

الدين منه والحكمة ، والشرع منه والقوة

والمنعة منه والمكنة

حيرت جلوته العالمين

وأعطى قدرة العمل للعاشقين

فى ظله يصير الذليل سامياً عالياً

والتراب تحت أقدامه يصير إكسيراً

له القدرة على اختيار العبد المثابر

فيشكل منه جنساً آخر

مسرع هو على درب الحق

يجرى فيه الدم كالبرق

فيصير أكثر من البرق لهباً

فيموت الخوف ويموت الشك

ويحيا الأمل

فعينه ترى ضمير الكائنات

حين يحكم العبد " مقام العبودية"

يصير ملكًا

ويصير وعاء الشحاذ مثل كأس جمشيد(٢)

" لا إله إلا الله " هى الروح والجسد

فى الأمة البيضاء

أمة الإسلام

" لا إله إلا الله " هى اللحن

يكشف عن نغمتنا

" لا إله إلا الله " هى متاع أسرارنا

وهى حلقة الوصل لخيط أفكارنا

حين تنطق الشفاه بلا إله إلا الله

وتنزل إلى القلب

تزيد من قوة الحياة

مع أن نقشه حجر

لكنه صار قلباً

والقلب إن لم يحترق بذكرها

يصير تراباً

حين يذوب القلب من حرقة غمها

فإن كومة الإمكان (حصاد الإمكان) يحترق من الآهة

وحرقة القلب الذى فى الصدور

تذيب المرايا

شعلتها مثل شقائق النعمان داخل عروقنا

لا يصيبنا منها شيء

غير السواد الناتج عن جراحات الكى

صار الأسود بالتوحيد أحمر

وصار الفاروق نفسه مثل أبى ذر

القلب هو مقام معرفة الذات

ومقام البعد عنها والجهل بها

والأمة تكون بتوحد القلوب وتآلفها

ونورها إنما يكون من جلوة واحدة

هى جلوة طور سيناء

يجب أن تكون أفكار الأمة واحدة

وأن تحمل فى ضميرها هدفًا واحداً

يجب أن تكون بداخلها عاطفة واحدة

تربطها وتضمها معًا

يجب أن يكون عيار الحسن والقبح لديها واحداً

إن لم توجد حرقة الإيمان

فى قيثارة الفكر

فلا يمكن لهذا الفكر أن يسمو

ولا يمكن لهذا الفكر أن يكون ذا جدوى

نحن مسلمون

نحن أبناء الخليل

فخذ الدليل

من " أبيكم " إبراهيم إن شئت الدليل

ربطوا تقدير الأمم بالوطن

أقاموا بناية الأمم على النسب

هل ترى أصل الأمم فى الوطن ؟ !

هل تعبد فيها الريح والماء والتراب ؟ !

إن الفخر بالأنساب جهل

فحكمها فى الجسم والجسم مآله الزوال

إن أساس أمتنا أساس آخر

وهو أساس مضمر فى قلوبنا

نحن موجودون ، ونحن شهود

وقلوبنا مرتبطة بالغيب

لقد تخلصنا من قيد هذا وذاك

إن رباط هذه الأمة مثل الأنجم

مثل البصر

لا تدركه أبصارنا

مثل سهام وضعت فى جراب واحد

لنا مظهر واحد

ولنا رؤية واحدة

ولنا فكر واحد

هدفنا واحد ، مآلنا واحد

طريقة تفكيرنا واحدة

وأسلوب تفكيرنا واحد

نحن بنعمته صرنا إخوانًا

لغة واحدة ، وقلب واحد ، وروح واحدة !

فى معنى أن اليأس والحزن والخوف أم الخبائث

وهى تقطع طريق الحياة والتوحيد

هو الذى يقضى على هذه الأمراض الخبيثة

متاع الموت هو اليأس والقنوط

الحياة القوية فى " ألا تقنطوا " (١)

الأمل يكون بالرجاء المتواصل الدائم

اليأس سم الحياة .. يميتها

اليأس مثل القبر تدفن فيه

وحتى لو كنت قويًا مثل جبل الوند (٢)

فاليأس يقضى عليك

وعجز الإنسان يكون من اليأس

والخيبة دائمًا كامنة فى أحضان اليأس

فاليأس يصيب الحياة بخدر ينيمها

وهذا دليل على ضعف العنصر

كحله يصيب عين الروح

فيجعل من الصباح ليلاً مظلمًا

تموت قوى الحياة من أنفاسه

وتجف ينابيع الحياة

هو والغم معًا داخل طية ثوب واحد

والغم مثل السم يسرى فى عروق الروح

فيا من أنت أسير سجن الغم

تعلم من قول النبى " لا تحزن " (٣)

صدق الصديق هذا الدرس

فقد اطمأن موقنًا بما سمع

إنما المسلم بالرضا مثل الكوكب

مبتسم دائماً وهو يمضى على درب الحياة

إذا عرفت ربك

وآمنت بالله

فحرر نفسك من الغم

وحرر نفسك من التفكير فى الزيادة والنقصان

قوة الإيمان تزيد الحياة

فالزم قراءة ورد " لا خوف عليهم "(٤)

حين يمضى الكليم تجاه فرعون

فإن قلبه يقوى بـ" لا تخف "(٥)

خوف غير الله قتل للعمل

وهو قاطع الطريق على قافلة الحياة

إن العزم المحكم تخشاه الممكنات

وأصحاب الهمة العالية يحذرونه

حين تنمو بذرة الخوف فى ترابك

فإن الحياة تتراجع عن تجليها

فطرته ضعيفة

وهو وتر يعزف بقلب يرجف ويد مرتعشة

يسرق من القدم القدرة على السير

ويسلب الدماغ أفكاره

إذا ظهر خوفك للعدو

يسهل قطفك من الحديقة

مثلما تقطف الوردة

وتقوى ضربات سيفه عليك

وتسقط عيونه عليك مثل الخنجر

الخوف قيد في أقدامنا

وهو مائة طوفان وطوفان في بحرنا

فإذا لم يظهر لحنك يومًا

فاعلم بأن أوتار قيثارتك

ارتخت من الخوف

فافرك أذنك حتى يتردد فيها اللحن

وحتى يجلجل يهز الأفلاك

الخوف جاسوس قديم من إقليم الموت

بداخله سهم مثل ميم كلمة الموت (٦)

وعينه تقطع الطريق على أعمال الحياة

وأذنه تتلصص على أخبار الحياة

من الخوف يتولد التملق

ويظهر المكر والخداع والحقد والضغينة والكذب

ثوبه يخفى بين تلابيبه الزور

وفى حضنه يكمن الرياء

وهو يثير الفتن فيما بيننا

حرم الخوف كل صاحب همة

من أن يحكم نفسه ويقوى

فقد رضى هذا بالذل وصار حليفًا للضعيف

كل من يفهم سر المصطفى

يدرك أن الشرك مضمر فى الخوف

حوار بين السهم والسيف

قال سهم هو سر الحق

قال للسيف فى ساعة الوغى :

يا من فى واديك الجنة !

وذو الفقار حيدر الكرار

سر أسلافك

لقد رأيت قوة ساعد خالد (رضى الله عنه)

ونثرت الشفق الأحمر على " الشام"(١)

قيامتك هى نار القهر الإلهى

وتحت ظلك توجد جنة الفردوس

أنا نار حيثما أكون

فى الجو أو داخل جرابى

أنطلق من القوس تجاه الصدر

أدقق وأنطلق إلى الصدر

فإذا خلا الصدر من القلب السليم

فرغ من كل أفكار اليأس والخوف

نفذت .. أمزق اللحم لأصل إلى العظم

وأكسو الجسم بموج الدم

أما إذا كان فى الصدر قلب مؤمن

ظاهره مضىء مثل باطنه

ذاب روحى من حرارة القلب

وذاب نصلى فصار مثل الندى !!

حكاية الأسد والسلطان عالمكير (رحمة الله عليه)

السلطان عالمكير رفيع المنزلة

من سلالة الكوركان .. من سلالة تيمور

ارتفع به شأن الإسلام

وبه كان احترام شرع النبى (صلى الله عليه وسلم)

هو آخر سهم فى جعبتنا

انطلق يكافح ضد أذى الكفر لديننا

وضع بذرة الإلحاد السلطان أكبر

فنمت البذرة فى فطرة أخيه دارا

فلم تضئ شمعة القلب فى الصدور

ولم تأمن أمتنا شر الفساد

فاختار الله للهند السلطان عالمكير

الفقير إلى الله ، صاحب السيف البتار

أمره الله بأن يُحيى الدين من جديد

أمره بأن يجدد فى الناس مشاعر الإيمان واليقين

فأحرق برق سيفه شجرة الإلحاد

وأنار شمع الدين محفلنا ثانية

فاختلق الجهلة من أصحاب الذوق الحكايات

لم يعرفوا سعة إدراكه وعلو فهمه

كان فراشة لشعلة التوحيد

مثلما كان إبراهيم فى بيت الأصنام

كان فريداً بين الملوك

وفقره يتضح من بناء تربته(١)

هو هذا الملك الذى كان يوماً ما زينة العرش والملك

ذلك المجاهد الفقير

مضى كعادته كل صباح يتمشى

يرافقه بعض جنده الأوفياء

كان فرحًا مسرورًا بنسيم الصباح العليل

بينما الطيور على الأشجار تسبح خالقها

وغرق الملك فى التسبيح لله

كأنه ضرب الخيمة فى الحقيقة

بينما كان هذا من المجاز

فقدم أسد من ناحية الصحراء

ترتعد الأفلاك من زئيره

شم رائحة الإنسان

فعلم بوجوده فى ذاك المكان

وهكذا هجم عليه

ينشب مخالبه فى السلطان

فسحب السلطان الخنجر بيده على الفور

وبقر كالبرق بطن الأسد

لم يتأثر قلبه من هول المفاجأة

وهكذا تحول الأسد الحقيقى

إلى أسد مرسوم على سجادة

فعاد السلطان مرة أخرى

إلى التسبيح لله عز وجل

فكانت صلاته الخالصة لله

معراجًا له

وهكذا فمثل هذا القلب

القوى الذى لا يقهر

وطنه صدر المؤمن

فالعبد الحق أمام المولى " فناء " لا شىء

والعبد الحق أمام الباطل " ثابت " لا يفنى

أيها الغافل ! إنك تملك قلبًا

فأعد المحمل

لتهب القلب للحبيب

لتهبه لله

ابذل النفس

وسوف تكسب النفس من جديد لا محالة

تواضع للحق ، وذلل النفس للحق

وستجد الرفعة ، ستجد العزة لا محالة

أحرق بالعشق كل مشاعر الخوف

وكن جملاً للحق

عندها تأتى بأفعال الأسد

إن خوف الله دليل الإيمان الواضح

وخوف الآخرين هو الشرك الخفى

الركن الثانى : الرسالة

تارك الآفل ! إبراهيم الخليل (١)

هو دليل على اتباع جميع الأنبياء لنهجه

إنه آية لله باقية

رغبة ظهرت فى قلبه

أرادها أن تكون فى الأمة(٢)

بعد أن انسكبت الدموع غزيرة

سمع رسالة جاءته :

" طهرا بيتى "[٣]

لقد عمر لنا القفار

وبنى البيت للطائفين [٤]

حتى تتفتح براعم " تب علينا "

وتتحول إلى روضة فى ربيعنا[٥]

خلق الحق تعالى صورتنا

ونفخ فى جسدنا الروح بالرسالة

كنا أحرفًا دون صوت فى هذا العالم

وبالرسالة صرنا شطراً من بيت شعر موزون

وبالرسالة كان تكويننا فى هذه الدنيا

وبالرسالة كان ديننا وكان شرعنا

وبالرسالة صرنا وحدة واحدة

رغم أننا ملايين

الجزء منا يتصل مع الجزء الآخر

فيستحيل أن ينفصل عنه أبدا

ذاك من شأنه أن " يهدى إليه من يريد " (٦)

وبالرسالة يرسم حوالينا حلقة (تحفظنا) (٧)

حلقة تحيط بالأمة

مركزها بطحاء مكة

نحن من قيل فى نسبهم

إننا أمة مَنْ أُرسل رحمة للعالمين

نحن نمضى فى بحرها

مثل موج داخل موج

متصل لا ينفصل

أمة فى حرز جدار الحرم

نداؤها مثل زئير أسد الأجم(٨)

إن أردت أن تحقق فى معنى كلامى

فانظر بعين الصديق حتى تفهم

فهو لنا قوة القلب والروح

وهو أحب إلى القلب من جميع الخلق(٩)

كتابه لقلب المؤمن قوة

حكمته .. شرعه حبل وريد الأمة

إذا فلت منك ذيل ثوبه

فهذا هو الموت الأكيد

وهو مثل ذبول الورد فى ريح الخريف

نالت الأمة الحياة من أنفاسه

وأضاء هذا الصباح بشمسه

الفرد يحيا من الحق .. والأمة تحيا به

وتضيء بشعاع شمسه

بالرسالة توحدت نغمتنا

فصرنا متجانسين أصحاب هدف واحد

كثرتنا المؤتلفة وحدت فيما بيننا

فإذا ما ائتلفنا صرنا وحدة

وتشكلت أمتنا

وفى وحدة الهدف حياة الكثرة

ووحدة المسلم من دين الفطرة

تعلمنا دين الفطرة من النبى صلى الله عليه وسلم

فمضينا نوراً على درب الحق

هذا الجوهر من بحره الذى لا حدود له

نحن الذين ائتلفت روحنا فى روح واحدة

من إحسانه ومنته

فإن لم تضع هذه الوحدة من يدنا

فإن حياتنا تظل مصونة إلى الأبد

هكذا ختم الله علينا شريعته

وبرسولنا ختم الله الرسالة

وسلَّم إلينا مهمة الساقى

وأعطانا آخر كأس

" لا نبى بعدى " هو إحسان من الله (١٠)

إنه سر ناموس دين المصطفى

وبه يكون أساس قوة الأمة

وبه يكون حفظ سر وحدة الأمة

قضى الله تعالى على أثر كل دعوى بعدها

فأحكم بذلك الإسلام حتى الأبد

وهكذا فالمسلم لا يسلم قلبه لغير الله

وهو مصداق " لا قوم بعدى "

فى معنى أن مقصود الرسالة المحمدية
هو تشكيل وتأسيس الحرية والمساواة والأخوة بين البشر

عبد الإنسان فى الدنيا أصنام البشر

فكان بلا قيمة ، وكان ذليلاً وحقيراً

قطعت عليه سطوة كسرى وقيصر كل طريق

قيدت يده ورجله وخصره

فكان الكاهن والقسيس والسلطان والأمير

ينالون منه بدل الخراج مائة خراج

الإقطاعى أيضاً والشيخ أيضاً

بينما في الكنيسة يبيع الأسقف الجنة

كانوا يوقعون الصيد السهل في شباكهم

بينما كان البرهمن يحمل وردة من روضته

والمجوسي يقدم للنار كل ما يملك

تدنت فطرته بسبب العبودية فضعفت همته

وتحولت نغماته في قيثارته إلى دم

حتى سلَّم الله الأمانة

إلى أمين على الحق يؤتمن

فسلَّم الحقوق إلى أصحابها

وجعل العبد يجلس على عرش الخاقان

بعث في الرماد البارد شرر النار

فجعل مكانة فرهاد تعلو (١)

فوق مكنة الملك العظيم برويز (٢)

زاد من قدر العباد العاملين

وسلب من السادة سلطة الأمر والنهي

قوته حطمت الصور القديمة

فبنى حصنًا جديدًا للبشر

بث روحًا جديدة فى جسد آدم

وحرر العبيد من أسيادها

كان فى مولده موت الدنيا القديمة

وكان فى ميلاده فناء معابد الأوثان

وزوال بيوت النار

ولدت الحرية من ضميره الطاهر

وهذه الصهباء سالت من كرمه

عصره الجديد الذى جاء بآلاف المصابيح المنيرة

جاء فى حضن البعثة الإسلامية

خطَّ نقشًا جديدًا على صفحة الحياة

خلق أمة تفتح الدنيا بنورها وهديها

أمة لا تعرف سوى الله

أمة هى فراشة حول سراج المصطفى

أمة أضاء صدرها من حرارة الحق

ذرتها شمع حريم الشمس

تلونت الكائنات من كيفها

وهى تحول بيوت الأصنام إلى " كعبات "

نسبها يرجع إلى المرسلين والأنبياء

أكرمها عند الحق أتقاها [٣]

في قلبها " المؤمن أخو المؤمن " [٤]

وحريتها متاع طينها وترابها

تنفر من التمييز بين البشر

المساواة أساسها

أبناؤها مثل السرو الباسق

أحرار .. علاة

عهدها .. إيمانها محكم من " قالوا بلى " [٥]

سجدة الحق غرر بسيماها [٦] سيماهم

قبَّل القمر والنجوم أقدامها

حكاية أبي عبيد وجابان[١]

وقع أحد قادة جيش يزدجرد [٢]

أسيراً في يد أحد المسلمين

أثناء القتال

كان قائداً داهية عركته السنون

خدَّاع ، مكَّار

لم يخبر أحداً عن رتبته ومقامه

كما لم يخبر أحداً عن اسمه

قال : أريد أن تأمنِّي على نفسي

فشأن المسلم أن يهب الأمان للأسير

وهكذا أغمد المسلم سيفه قائلاً له :

" دمك حرام عليَّ "

وحين تمزقت راية الفرس

وخبت نار الأسرة الساسانية

ظهر أن الأسير هو القائد جابان

وهو من كبار قادة إيران

فطلبوا من قادة العسكر

الإذن بقتله

لأنه اتخذ الخداع وسيلة للنجاة

إلا أن أبا عبيد رئيس جيش الحجاز

قوى العزم شديد البأس

يساوى فى القوة جيش

قال : يا رفاقى ! ألسنا مسلمين ؟ !

أوتار قيثارتنا تصدر نغمة واحدة

ولحننا واحد

سواء صدر من حلق أبى ذر أو من حلق حيدر

أو من حلق بلال أو من حلق قنبر

كل واحد منا هو أمين الأمة

صلحه صلح الأمة وحربه حرب الأمة

ومع أن الأمة أساس روح الفرد

فإن حفظ عهد الأمة يكون بحفظ عهد الفرد

مع أن جابان كان عدونا

إلا أن مسلماً من بيننا

أعطاه الأمان

وهكذا يا معشر خير الأنام

صار دمه على سيف المسلمين حرام

حكاية أمير خُجند (خوقند) السلطان مراد مع المعمار
فى معنى المساواة الإسلامية

كان هناك معمار من منطقة خُجند [١]

نال شهرة واسعة في فن " المعمار "

هو في فن الصنعة ابن لفرهاد

بنى مسجداً بأمر السلطان مراد

فلم يعجب السلطان بتصميمه المعماري

وغضب من تقصير المعمار في فنه

وتطاير الشرر من عيونه غضباً

فقطع بالخنجر يد المسكين

جرى نهر الدم من ساعد المعمار

فمضى يتعثر حزيناً مهموماً

يتظلم عند القاضي

فحكى قصة ظلم السلطان

وأبان يده التي صارت مثل حجر الصوان

قال : يا رسول الحق ! إن قولك قول الحق

وعملك هو حفظ شرع محمد

استمع لى ! فأنا لست عبداً للسلطان

فاحكم بيننا بما جاء فى القرآن

فعض القاضى العادل على أسنانه

وأمر بأن يحضر إليه السلطان

امتقع لون السلطان خوفًا من حكم القرآن

وحين مثل أمام القاضى

شعر بذنبه

فكانت عيناه تتجهان نحو أقدامه

خجلاً من ذنبه

وظهرت حمرة الخجل على وجنتيه

وهكذا وقف الخصمان

صاحب الدعوى فى ناحية

بينما السلطان المدعى عليه فى ناحية

قال السلطان : أنا نادم على فعلتى

إنى أعترف بجرمى

فقال القاضى : إن فى القصاص حياة [٢]

هذا هو قانون استمرار الحياة

والعبد المسلم ليس بأقل من الحر

ودم الملك ليس بأكثر حمرة من دم المعمار

حين سمع شرح هذه الآية الواضح

أخرج السلطان يده من جيبه

بينما وقف المدعى صامتاً

ينصت إلى آية العدل والإحسان تتلى [٣]

فقال : لله العفو .. أعفو من أجل رسول الله

لقد انتصرت نملة على سليمان

فانظروا إلى سطوة شرع النبى

فالعبد ومولاه أمام القرآن متساويان

ولا فرق بين صاحب الخيش وصاحب الديباج

فى معنى الحرية الإسلامية

وسر حادثة كربلاء

إن من يحكم صلته بالله الحى

لا يكون عبداً لعبد من عباد الله

حياة المؤمن موقوفة على العشق

ووجود العشق موقوف على المؤمن

العقل سفاك إلا أن العشق أكثر منه سفكًا للدماء

والعشق متطهر عن كل غرض

يسرع فى طريق الحق لا يأبه الخوف

العقل حين يمضى إلى هدفه

يبحث في الأسباب والمسببات

أما العشق ففارس منطلق فى ميدان العمل

بغير حساب

العشق ينال الهدف بساعديه

لا يلجأ إلى مكر أو خداع

بينما العقل بالفطرة ينشر شباك المكر والخداع

متاع العقل الخوف والشك ليس إلا

والعشق لا ينفصل عنه العزم واليقين

ما يشيده العقل تكون نتيجته الخراب

بينما العشق يخرب لتكون النتيجة التعمير والبناء

العقل فى هذه الدنيا أقل قيمة من الهواء

والعشق موفق ، ناجح ، قيمته فى السماء

العقل يستحكم بالتساؤل: كيف .. وكم .. ومتى؟

والعشق متحرر من كل هذا

العقل يقول: اعمل على تطوير نفسك

والعشق يقول: اكتسب الخبرة

وجرب التضحية فى سبيل الحق

العقل يتكون بالكسب ويتطور بالتمرين

ويفكر قبل التعرف على الآخرين

ماذا يجنى من فائدة ؟

بينما العشق موقوف على فضل الله فقط

لا يأبه بثروة ، ولا يحتاج لشكر من الآخرين

يبلغ العقل هذه الرسالة للإنسان

ينصحه بأن يستريح

وأن يقضى حياته فى دعة وسرور

بينما العشق يقول : كن عبداً مؤمناً صادقًا مع الله

تحرر من عبودية الجميع إلا الله

الحرية راحة . . والروح والهدوء بواعث للعشق

والحرية هى حادى ناقته

لقد سمعت عما فعله العشق

مع العقل المهووس وقت الحرب

هو إمام العاشقين ابن فاطمة البتول

التى نالت مكانة السرو فى حديقة الرسول

فأبوها هو باء بسم الله (١)

وولدها الحسين هو ممثل الآية " وفديناه" (٢)

إن من نصيب أمير خير الأمم

أن لقب خاتم المرسلين وهو على كتفه

بأنه " نعم الجمل " (٣)

طأطأ العشق الغيور أمام دم الحسين

ولو كان العشق مصرعًا

لظهر الحسن فى هذا المصرع

من ذكر الحسين

إن مكانة الإمام الحسين تطاول فى رفعتها السماء

ومكانته فى الأمة كمكانة سورة الإخلاص فى القرآن(٤)

موسى وفرعون وشبير ويزيد

هم أناس لهم منزلة خاصة

إلا أنهم مظهر لقوتين متضادتين

لكن التاريخ يشهد بأن الحق ينتصر دائماً

ويبقى خالداً

بينما الباطل يصبح علامة لحسرة الموت

حين أنهت الخلافة علاقتها بالقرآن الكريم

وضع السم فى فم الحرية

فنهض من هو مظهر لخير الأمم

كما الغيث يقدم من تجاه القبلة

فأمطر على أرض كربلاء

فتحولت الخرابات إلى جنة

مملوءة بشقائق النعمان الحمراء

وتقطعت جذور الظلم والاستبداد إلى يوم القيامة

فقد أنبت موج دم الحسين حديقة الحرية

خلط الحسين التراب والدم في سبيل الحق

وهكذا أوجد أساس كلمة التوحيد(٥)

خاض الحسين المعركة

من أجل أن تقام الخلافة طبقًا لتعاليم الرحمن

الحسين هو مرآة لتضحية إبراهيم وإسماعيل

فذاك القربان جاء اختصاراً لـ "وفديناه بذبح"(٦)

بينما قام الحسين بتفصيل ما جاء فيها مختصراً

عزم الإمام الحسين

عزم ثابت راسخ كالجبل

عزم سريع وموفق

فقد سحب السيف من غمده

لحفظ عز وشرف الدين

يجب أن ندرك أن المسلمين

ليسوا عبيداً إلا لله

ورءوسهم لا تنخفض لأى فرعون

لقد كشف دم الحسين عن سر الدين الإسلامى

وأيقظ الأمة النائمة من سباتها

لقد سحب سيف" لا " فأخرج الله الدم

من عروق الباطل

إن درب" لا إله إلا الله"(٧)

هو الوصية التى فيها نجاتنا

فإن سرنا على هذا الدرب وصلنا إلى النجاة

لقد تعلمنا تعاليم القرآن من الحسين

وهكذا نجمع من مشعله الضوء

انقشعت ظلمة الليل

وانتهى جمال بغداد وكمالها

ولم تبق حتى ذكريات عظمة غرناطة

ومع هذا لا يزال مضراب الإمام الحسين

يضرب على ربابنا حتى الآن

فلتخرج النغمات

فلا تزال صيحة " الله أكبر " تجدد إيماننا

يا رياح الصبا !

أيها الراحلون إلى من بعدوا عنا

احملوا دموعنا هدية

إلى مرقد الإمام الحسين

فى بيان أن الأمة الإسلامية مؤسسة على التوحيد والرسالة وهكذا لا تحدها الأمكنة

جوهرنا لا يرتبط بموطن أو مكان

ريحه العاصف لا ترتبط بمقام

كأسنا ليست من الهند ولا من بلاد الروم

جسمنا ليس من تراب الهند ولا من الصين

ولا من تراب بلاد الروم ولا من تراب الشام

قلبنا ليس من الهند ولا من الروم ولا من الشام

إنه لا يهوى سوى الإسلام وطنًا

أهدى كعب الطاهر الأصيل (١)

للرسول صلى الله عليه وسلم

قصيدة " بانت سعاد "

نظم فى مديحه الدر المنير

قائلاً بأنه سيف مسلول من سيوف الهند

إن مقامه أرفع من الفلك

لذا لا يروق له أن ينتسب إلي وطن من الأوطان

فقال النبى : قل سيف من سيوف الله

أنت تؤمن بالحق

فلا تمض يا كعب إلا على درب الحق

هكذا قال عارف سر الجزء والكل

الذى تكحلت عين الرسل بغبار قدميه

قال للأمة :

حبب لى من دنياكم الطاعة والطيب والنساء

إن كان لك نصيب من ذوق المعانى

فإن النكتة المختفية كامنة فى كلمة " دنياكم "

أى أن شمع ليلى كان فى الدنيا

ثم اختفى من على ظهر الدنيا

ومن جلوته تجلى العالم

بينما كان آدم بين الطين والماء (٢)

لا أعلم أين وطنه وأين بلده

كل ما أعلمه أنه ارتبط بنا .. بداخلنا

وقد اعتبر هذه العناصر دنيا لنا

واعتبر نفسه ضيفاً علينا

لقد أضعنا القلب من الصدر

ففقدنا أنفسنا فى هذه " المتربة "

إن كنت مسلماً

فلا تربط نفسك بوطن

لا تُضع نفسك فى دنيا "الكم والكيف"

دنيا العلل والمقادير

لا يتسع للمسلم وطن ولا بلد

إنما الشام وروما تتفسح فى قلبه الذى يتسع لهما

املك القلب

ففى وسعة القلب

ضل هذا العالم الكبير

عالم الماء والطين

حل المسلم عقدة القومية

فقد هاجر سيدنا رسول الله من الوطن

شرعته أسست أمة ملء الدنيا

أسسها على كلمة التوحيد

ومن فضائل إمام الدنيا والدين

أن صارت الدنيا كلها مسجداً لنا

فهو محمود فى كتاب الله

وهو محفوظ بوعد من الله

يرتعد الأعداء من هيبته

ويسيطر عليهم الهلع والخوف

من عظمة طلعته

لماذا هجر موطن آبائه ؟

هل تظن أنه هاجر خوفا من أعدائه ؟

لقد أخفى عنا القصاص الحق

بعد أن أخطأوا فى فهم معنى الهجرة

الهجرة هى شرع حياة المسلم

وهى من أسباب ثبات المؤمن

معناها المضى من الضيق إلى السعة

معناها ترك القطرة

من أجل تسخير البحر

فاهجر الوردة واقصد البستان

ففى الخسران القليل ربح وفير

إن شرف الشمس يكمن فى سيرها بحرية

فالآفاق كلها تحت أقدامها

لا تكن مثل جدول صغير تأخذ متاعك من السحاب

بل كن بحراً وابتعد عن الشاطئين

وانطلق فى الدنيا بلا حدود

يجب عليك أن تسخر كل شىء

حتى تصبح سلطاناً للجميع

اسكن البحر وصر مثل الحوت

وحرر نفسك من قيد المقام

كل من تحرر من قيد الجهات

يصير مثل الفلك

يعمر جميع الجهات

عبير الورد ترك الورد

وهكذا نشر العطر فى خمائله الواسعة

يا من قبعت فى الروضة مثل البلبل

ربط نفسه مع وردة

امض مثل الصبا وحلق

لتجد الروضة كلها

وقد صارت فى حضنك

انتبه لخداع العصر الجديد

واحذر أن يلتبس عليك الدرب

عند مفترق الطريق

فى معنى أن الوطن ليس أساس الأمة .

هؤلاء الذين قطعوا أواصر الأخوة

حين جعلوا من الوطن أساس الأمة

جعلوا الوطن هو شمع المحفل

فقسموا الجنس البشرى إلى قبائل

بحثوا عن الجنة فى " بئس القرار "

حتى أحلوا قومهم " دار البوار " (١)

حمل هذا الشجر الجنة من العالم

لم يثمر هذا الشجر سوى المرارة

لم يثمر سوى الفرقة

فصارت الإنسانية فى الدنيا

حكاية زالت

وصار الإنسان غريباً عن أخيه الإنسان

خرجت روح الإنسان من الجسد

ولم يبق فيه غير أعضاء الجسد

ضاعت الإنسانية وبقيت الأقوام المتفرقة

وأمسكت السياسة بمنصب الدين

وهكذا نمت هذه الشجرة فى الغرب

فانتهت حكاية دين عيسى

وخبت شعلة شمع الكنيسة

والأسقف البابا الأعظم

صار دون قوة

وخرجت الأمور عن سيطرته

واحتقر قوم موسى الكنيسة

وصاروا يسخرون من شرعته

ومزقت الدهرية رداء المذهب

فقد وصل " مرسل " من قبل الشيطان

ذاك " الفلارنساوى " ميكيافيلى عابد الباطل

كحله قضى على بصائر الناس

كتب لكل ملك كتاباً

وبذر فى طينتنا بذرة الفساد

فطرته تميل إلى الظلمة

وبسيف قلمه مزق الحق إرباً إرباً

ناحت الأصنام ، مثل آزر

الذى اتخذ نحت الأصنام حرفة

ابتدع فكره بدعة سيئة

جعل الملك ديناً يُعبد

وجعل كلَّ قبيح عنده حسنًا

وكلَّ فكر مذموم فكرًا محمودًا

حينما سجد لهذا المعبود

جعل الحق هو كل ما يحقق فائدة

فنما الباطل من تعليمه

وصارت الحيلة عنده فنًّا من الفنون

أحكم خطة لإضعافنا

وألقى بالشوك على درب أيامنا

وهكذا أظلمت عيون أهل الدنيا

حين سمى التزوير مصلحة لنا ! !

فى معنى أن أمة محمد ليس لها حدود زمانية ،
وأن هذه الأمة الشريفة موعودة بالخلود

يا من ترى البلبل المنتشى فى الربيع

والبراعم المتفتحة والورود

إن البراعم مزينة مثل العرائس

وعلى الأرض شكلت النجوم مدينة كاملة

والخضرة صفت حين غسلتها دموع السحر

ونام على الغناء ماء النهر

تنفس البرعم على الغصن

حين احتوته فى حجرها نسائم الهواء العليل

دمى البرعم حين اقتطفته يد عاشق الأزهار

فخرج من الخميلة مثل الريح

عشش طائر القمرى ، وطار البلبل

ونزلت قطرة ندى وفر الشذا

وودعت الخميلة مئات الأزهار الفانية

ولم يستمر كثيراً رونق الربيع وبهجته

إن محفل الأزهار باق يضحك

لا يبالى خراب كنزه الوافر

وهو أبقى من الوردة والزهرة

إن منجم الجواهر

لا يصيبه نقص لو انكسرت جوهرة

كم من صبح أشرق !

وكم من غروب حلّ !

وكم من كئوس أيام لا حصر لها !

أُخذت من دن الزمان

كم من الصهباء شربوا

ولا تزال الصهباء باقية !!

انتهى الأمس وما قبل الأمس

صارت الأيام الماضية أيامًا خوالى

والباقى هو الغد

وبينما يمضى الغد من بعد الغد

فإن تقدير الأمم ثابت لا يزول

يمضى الصديق فى السفر

إلا أن الصحبة تظل قائمة

فالفرد يمضى

لكن الأمة تظل قائمة

ذاتها لها صفات أخرى

فسنة حياتها وموتها

سنة أخرى

الفرد ينشأ من قبضة تراب

بينما الأمة تولد من قلب إنسان رحيم

يعيش الفرد نحو ستين سنة أو سبعين

بينما مائة عام من عمر الأمة

مثل نفس واحد

حياة الفرد من ارتباط الروح بالجسد

وحياة الأمة من حفظ السنن القديمة

موت الفرد من جفاف نهر الحياة

وموت الأمة من ترك هدف الحياة

ومع أن الأمم تفنى مثل فناء الفرد

فإن لها أجلها

تماماً مثلما الفرد (١)

أمة المسلمين أصلها من آيات ربِّ العالمين

أصلها من " قالوا بلى "(٢)

هذه الأمة لا تخشى الموت

فهى قوية متينة بقوله " نحن نزلنا "(٣)

الذكر قائم بقيام الذاكر

وفى دوامه دوام للذاكر

كيف ينطفئ هذا السراج

وقد قال الله " أن يطفئوا "(٤) !!

الأمة التى تقيم على الحق الكامل

هى محبوبة صاحب القلب الرحيم

هذا السيف الأصيل خرج بالحق

خرج من غمد أمنيات الخليل

برقه المتواصل أحرق كل ما سوى الحق

حتى يعيد الحق من أنفاسه

نحن حجة على توحيد الله

نحن حفظة سر الكتاب والحكمة

نازعتنا السماء وتحدتنا

وأخفت بين طياتها فتنة تاتارية

فحطم قيود أقدام تلك الفتنة

فقد ألقت بأثقالها على رءوسنا

فتنة موطئها الحشر

ونظرة سيفها القاتل كيوم الحشر

مئات الاضطرابات والأهوال كامنة فى حضنها

وصبح اليوم لا يولد من أمسها

قوة الإسلام وهنت !

ورأت بغداد ما لم تشهده روما

لكن اسأل هذا الفلك الأعوج

اسأل من جاء بسنن جديدة

على أساس مكر قديم

كان لهيب التتار لنا روضة

وكان شرر التتار لنا وروداً منثورة

ذلك لأن بداخلنا فطرة إبراهيمية

فنحن ننتسب إلى إبراهيم

لذا جنينا الأزهار من طيات اللهيب

وقطفنا باقة ورد من نار كل نمرود

إن نيران انقلاب الزمان

حين تصل إلى حديقتنا

يحلً بها الربيع

انفض سوق الروم .. لم يبق فيه شيء

والسطوة والسيطرة لم يعد لهما وجود

وزجاجة آل ساسان غرقت في الدم

وحانة اليونان البهيجة انتهت

ومصر فشلت في الاختبار وظلت كما هي

وضمت الأهرام بداخلها عظامها

لقد علا صوت الأذان في الدنيا

ولا يزال يتردد

لقد ظهرت أمة المسلمين

ولا تزال باقية

العشق سنة حياة العالم

وبه تتماسك أجزاء العالم

يبقى العشق حيًّا بحرقة قلوبنا

المشتعلة بشرارة " لا إله إلا الله "

لو كنا مثل برعم الوردة

منطويين على أنفسنا حزانى مغمومين

فإن الروضة تفنى إذا فنينا

فى بيان أن نظام الأمة لا ينتظم بغير شريعة وشريعة أمة محمد هى القرآن الكريم

أمة ضاعت حين فلت الشرع من اليد

ضاعت مثل تراب تبعثر هنا وهناك

وجود المسلم من وجود الشرع ليس إلا

وهذا هو باطن دين النبى ليس إلا

حين تلتزم ورقة الورد بالقانون والنظام

تصبح حقًّا وردة

وحين تلتزم الورود بالقانون والنظام

تصبح باقة جميلة

والنغمة تظهر من انضباط الصوت وانتظامه

فإذا لم ينضبط الصوت يصبح ضجيجاً ليس إلا

فى حلقنا نفس

هو موج هواء

حين ينتظم فى الناى

يصبح غناء

أنت تعرف ما شرعك؟

وأى سر لقدرتك تحت هذا الفلك ؟

إنه الكتاب الحى .. إنه القرآن الكريم

حكمته ما زالت باقية

إنه يحوى أسرار تكوين الحياة

والخلل ينضبط .. ويستمد الثبات من قوته

لفظه لا ريب فيه

ولا تبديل فيه

آياته لا لبس فيها ولا تأويل (١)

من قوته ينضج كل ما هو فج

ومن قوته يعارك الزجاج الحجر

قطع الشباك وتحرر

حتى جعل الصياد يصرخ ويصيح

هو آخر رسالة للجنس البشرى

حملها إلى العالمين مَنْ هو رحمة للعالمين

به يعزُّ كل خامل ويعلو

ويرتفع بالسجود رأس كل عبد

من شرعه صار قطاع الطرق

مرشدين إلى الحق

صاروا أصحاب كتب

بعد أن قرءوا كتابًا واحدًا

وأضاءت البادية المترامية من نور مصباح واحد

ومن العلوم ظهرت التجليات فى العقول

ذلك المطر الذى نزل على أكتاف الجبل

من قوته تفتحت زهرة الفلك (٢)

انظر إلى متاع آمالنا هذا

لقد حوته صدور أطفالنا

ذلك الكبد الظمآن فى الصحراء

التى يندر فيها الماء

ذلك الذى احمرت عيناه من حرارة الشمس

ناقته أطيب من الغزال

دمها حار مثل النار

وضع فِراشه فى ظل النخيل

واستيقظ فى الصباح على نداء الرحيل

يمضى فى الصحراء

لا يعرف شيئًا عن الجدران والأسقف

يمضى فى البيداء

لا يعرف شيئًا عن الحضر

حتى خفق قلبه من حرارة القرآن

فاستقر فيه الموج المتلاطم مثل " الدرة "

قرأ درسه من الآيات البينات

جاء عبداً فصار بالحق سيداً

عدله جعله حاكماً على الدنيا كلها

وقدماه داست عرش جمشيد الفارسى

غبار قدميه شيَّد مدناً

ومن زهرته الواحدة نبتت مئات الرياض

يا من أنت أسير سنن أيامك !

طرق الكفر لك سجن وقيود

قطعت أمرك فهو " زُبُر "

وطريقك يقود إلى " شىء نُكُر "(٣)

إن أردت أن تعيش مسلماً

فلا يمكنك ذلك إلا بالقرآن

سكر الصوفى من " أحواله "

وانتشى من شراب نغمة غنائه

النار فى قلبه من شعر العراقى (٤)

ومحفله خلا من القرآن لم يتأثر به

تاجه وعرشه من الصوف والحرير

فقره مما يُجبيه من الخانقاهات

وعظه حكايات .. لا يقول إلا الخرافات

الكلام جميل والمعانى منحطة

وكلامه من خطيب وديلمي (٥)

لا يرويان إلا الضعيف والشاذ والمرسل

انتبه ! تلاوة كتاب الله حق عليك

ففيه تجد كل ما تبغى وكل ما تشاء

فى معنى أن التقليد فى زمن الانحطاط أولى من الاجتهاد

العصر الحاضر مملوء بالفتن

التى عمَّت كل مكان

اللامبالاة التى يتصف بها

آفة شديدة

محفل الأمم القديمة مضطرب بسبب هذا العصر

وغصن الحياة خلا من كل طراوة بسبب هذا العصر

أشكالنا وصورنا صارت غريبة علينا

وصارت قيثارتنا غريبة على لحننا

سلب من قلوبنا حرارة الإيمان القديمة [١]

سلب من صدورنا نور " لا إله إلا الله " وحرارتها

إذا ما اعتل تقويم الحياة واضمحل

فإن الأمة تنال الثبات بالتقليد

سنن الآباء هى حبل هذا المجتمع

ومعنى التقليد هو ضبط الأمة وجمعها

يا من تعيش الخريف

لا نصيب لك من خضرة وثمر

لا تقطع الشجر

آملاً فى الربيع

أضعت البحر ففكر فى الخسارة

وإن قل الماء فى النهر

فاحفظ عليك جدولك

فعسى أن ينهمر السيل من فوق الجبل

ويعود الطوفان مرة أخرى إلى مجرى نهرك

إن كان فيك روح بصيرة

أخذت العبرة من أطلال إسرائيل

انظر حرارة أيامها وبردها

انظر كيف تأذت كثيراً روحها ؟!

كاد الدم يجف فى عروقها

انظر كيف صدمتها مئات الأحجار ؟!

عصر كف الزمان عناقيد عنبها

لكن ذكرى موسى وهارون

لم تنته من الدنيا

إذا ضاعت الحرقة من نغمة نارها

فهى حتى اليوم تمتلك فى الصدر نفساً منها

حين تبعثر جمعها

لم يمض سوى المحمل على درب الجدود

يا من تشتت محفل أجدادك

وانطفأ شمع الحياة فى صدرك

اكتب على صفحة القلب معنى التوحيد

وقلد أعمال أجدادك

فاجتهاد في زمان الانحطاط

يزيح القوم من فوق البساط

إن الاقتداء بالأقدمين

أحفظ وأفضل من اجتهاد قليلى النظر الغافلين

لم يصب عقل آبائك بالهوس

طهُرت أعمالهم .. لم تتلوث بأى غرض

فكرهم كان مرهفًا رفيعًا

ورعهم كان شبيهًا بورع المصطفى

لم يبق ذوق جعفر (رضى الله عنه) واجتهاد الرازى[٢]

لم تبق للأمة العربية عزتها

إن من ضيق علينا يُسر الدين

وكل لئيم

صار يدعى معرفته سر الدين

يا من صرت غريبًا عن أسرار الدين

إن كنت حقًا حرًا فالزم شريعة واحدة

فقد سمعت من نبّاض الحياة

أن تفرقك واختلافكم يعنى

ضياع الحياة

فالمسلمون يحيون بالتزامهم بشريعة واحدة

وروح الأمة تبقى حية بالقرآن

فهو نبض الحياة هو قلب مطلع على أسرارها

هو "حبل الله" فاعتصموا به

فانتظم مثل الدرر فى عقده

وإلا صرت هباءً منثوراً مثل الغبار

فى معنى أن كمال سيرة الأمة يكون باتباع الشريعة الإلهية

لا تبحث عن معنى آخر فى الشريعة

لا تبحث فى باطن الجوهر إلا عن النور

ففى هذا الجوهر جوهر إبداع الخالق

وهذا الجوهر ظاهره مثل باطنه

علم الحق ليس سوى الشريعة

وأصل السنة ليس سوى المحبة

الشريعة هى للفرد " مرقاة اليقين "

وبها تكمل مقامات اليقين أكثر فأكثر

إن نظام الأمة يكون بشريعة الحق

وهي تخلد على الدوام بهذا الحكم

أوجد في علمه القدرة

فصارت عصا الكليم

وصارت اليد البيضاء (تخرج من كمه)

هل أخبرك بسر الإسلام ؟!

إنه الشريعة

فالشريعة هي البداية والشريعة هي النهاية

يا من أنت أمين على حكم الدين

سأخبرك بنكتة الشرع المبين

حين يقوم إنسان بعناد مسلم

أو معارضة في أداء مستحب

دونما سبب

تحول هذا النفل المستحب فرضاً

وصارت الحياة " عين القدرة "

وإذا فكر جيش الأعداء في يوم الحرب

فى الصلح وبغى الأمن

وتحولت أيامه إلى أيام دعة وراحة

وحطم حصونه وقلاعه

فمن الحرام أن نهاجمه

دون أن يستعد للقتال ويحكم قوته

هل تعلم سر هذا الأمر الإلهى ؟

"الحياة هى أن تعيش فى المخاطر "

والشرع يفرض عليك

أن تجهز مجانيقك

وأن تعد نيرانك

إذا ما جاء العدو لقتالك

إنه يختبر ساعدك

ويضع أمامك جبل " الوند " العالى [١]

ويناديك يطلب منك

أن تحطم قمة جبل " الوند "

وأن تصهر هذا الجبل بخنجرك

لا يمكن للحمل الضعيف النحيف

أن يكون مثل الليث بأظفاره الحادة

إذا قلد الصقر طبع الصعوة

أصابه الوهن

وصعب عليه أن ينال صيده

شارع الشريعة

العالم بالخير والشر

كتب لكل واحد منكم لوح قدرته

بالعمل يحيل العصب إلى حديد

ويجعل لك مكانًا طيبًا فى الدنيا

وإن أصابك الضعف والوهن

وهبك القوة

وجعلك ثابتًا مثل الجبل

إن دين المصطفى هو دين الحياة

وشرعه هو تفسير شرع الحياة

فإذا كنت أرضًا جعل منك سماءً

وجعلك مثلما يريد الحق منك أن تكون

يصقل المرآة من الحجر

ويجلو الصدأ عن قلب الحديد

فلت شعار المصطفى من اليد

ففلت من يد القوم سر البقاء

ذلك الغصن المرتفع القوى

مسلم الصحراء

راكب الجمل

ثبت غرسه فى وادى البطحاء

ربته حرارة الصحراء تربية قوية

هذا الغصن أذبلته ريح العجم

جعلته مثل الناى

ذلك الذى ذبح الأسود ذبح الغنم

صار مثل نمل يُداس

ذلك الذى صار الحجر من تكبيره ليناً كالماء

صار خائفاً من صفير البلبل

ذلك الذى كان عزمه يعلو فوق الجبال

سلم نفسه ويديه ورجليه إلى التواكل

وصار واهنًا .. ضعيفًا

ذلك الذى كان ضربه يحطم أعناق الأعداء

صار قلبه الآن ضعيفًا من ضربات صدره

ذلك الذى كانت خطواته تترك مائة أثر وأثر

ضوضاءً وضجيجًا فى كل مكان

صارت أقدامه الآن محطمة فى خلوته وعزلته

ذلك الذى كانت الدنيا كلها تخضع له وتطيعه

وكان الإسكندر ودارا يقفان على بابه

اجتهاده رضى بالقناعة

ثم رضى بعدها بكشكول الشحاذة

والشيخ أحمد الرفاعى (٢)

سيد الأفلاك

الذى تكسب الشمس نورها من ضميره

نبتت على مزاره الأزهار

وظهرت من ترابه وردة " لا إله إلا الله "

فقد قال للمريد .

يا روح أبيك

حذار من أفكار العجم

مع أن فكرهم قد وصل إلى الفلك علواً

إلا أنه قد خرج عن حدود شرع النبى

يا أخى !

استمع إلى هذه النصيحة

استمع إلى نصيحة سيد الأمة

اشدد قلبك بكلمة الحق هذه

واتبع العرب حتى تكون مسلماً !

فى معنى أن حسن سيرة الأمة من التأدب بالآداب المحمدية

شحاذ جاء مثل القضاء المبرم

ظل ينادى من خلف بابنا

فخرجت عليه ضرباً بالعصا

من الغضب كسرت على رأسه العصا

فسقط من يده

محصول يومه

هكذا كان سلوك العقل

في بداية أيام الشباب

حيث لا يفكر في الصواب

ولا يعقل ما غير الصواب

تأذّى والدي من سلوكي

وامتقع لون وجهه

وكان محمراً مثل الوردة

فصدرت عنه آهة أحرقت الكبد

واضطرب قلبه في صدره

لمعت نجمة صغيرة في عينه

ثم سقطت بعد أن أضاءت

رموش عينيه

ارتعدت وارتعشت ثم سقطت

مثل فرخ في فصل الخريف

ارتعد في العش من برد السحر

وهكذا ارتعدت بداخلي روح الغفلة

ومضت ليلى عن محملي

قال : فى الغد تجتمع أمة خير الرسل

أمام مولى الكل

يجتمع غزاة الأمة ومجاهدوها

ومن حفظوا الحكمة وصانوها

والشهداء .. حجة الدين

فهم الكواكب المنيرة فى فضاء الأمة

والزهاد والعاشقون أصحاب القلوب

والعلماء ..

وكذا المذنبون يغطيهم الخجل

وسط هذا الجمع الغفير

يرتفع نواح هذا السائل المتألم

يا من صعب عليك الطريق

يا من تبحر دون مركب

يا بنى !

ماذا أقول حين يسألنى النبى :

" لقد حباك الله بشاب مسلم

لم يكن له نصيب من علم مدرستى

فوضت لك عملاً سهلاً .. فهل شق عليك ؟

هل شق عليك أن تحول هذا الطين إلى إنسان؟ "

بينما أنا رهين الخجل والرجاء

بينما أنا فى حوف وعناء

أستمع إلى العتاب الصادر من الكريم

فى كلمات هادئة طيبة

يا بنى ! فكر قليلاً وتذكر

يوم اجتماع أمة خير البشر

وانظر إلى لحيتى البيضاء

وانظر إلى ارتعادى من الخوف والرجاء

لا تزد من هذا الظلم

فهو غير مستحب

ولا تخجل العبد أمام مولاه

أنت برعم على غصن المصطفى

فكن وردة تتفتح من نسمات ربيع المصطفى

يجب أن تأخذ من ربيعه اللون والرائحة

ويجب أن تأخذ نصيباً من خلق المصطفى

ما أطيب ما قال المرشد الرومى

الذى صارت قطراته بحراً خضماً

" لا تقطع حبل أيامك عن ختم الرسول

وصله دائماً

واعتمد قليلاً على فنك وخطوك "

فطرة المسلم كلها رحمة وشفقة

وهو فى الدنيا فعله رحمة وكلامه رحمة

ذلك الذى شق القمر بإشارته كريم الخلق

رحمة عامة

إن كنت بعيداً عن مقامه

فأنت لست من جماعتنا

إن كنت طائراً فى روضتنا

فليكن تغريدك وشدوك

هو تغريدنا وشدونا

وإن كنت تملك لحنًا

فلا تغرد وحيدًا

ولا تشدو إلا على غصن روضتنا

كل من نال حظًّا من الحياة

لا يموت إلا فى بيئته التى عاش فيها

إن كنت بلبلاً

فحلِّق فى الروضة

واشدو وسط البلابل

وغرِّد مع السرب

وإن كنت عقابًا

فلا تحلق وسط البحار

ولا تخلو بنفسك فى خلوة الصحراء

وإن كنت كوكبًا

فأضئ هناك فى سمائك

ولا تخرج من مدارك

واجمع إن شئت قطرات مطر نيسان

وقم برعايتها فى جو بستانها

لتصبح مثل قطر الندى من فيض الربيع

تحضنها أكمامه الصغيرة وتمسك بها

من شعاع السماء يكون اضطراب السحر

ويكون تحول البرعم إلى شجر

ثم يجف العنصر الندى عن جوهرها

فيزول لمعان القطرة عن أجزائها

وهكذا لا يكون درك سوى الحباب

وسعيك لن يكون إلا السراب

فألق القطرات فى اليم

تصبح درراً

يتلألأ ضوءها مثل تلألؤ النجم

إذا ابتعدت قطرة نيسان عن البحر

فمصيرها الجفاف

مثلما تجف قطرة الندى

طينة المسلم الطاهر مثل الجوهر

ماؤه ولمعانه من بحر النبى صلى الله عليه وسلم

فغُص فى أحضان ماء نيسانه

واخرج بالجواهر من قلزمه

وكن أسطع من الشمس فى هذه الدنيا

وكن صاحب نور خالد لا يفنى

فى معنى أن حياة الأمة فى حاجة إلى مركز محسوس ومركز الأمة الإسلامية هو البيت الحرام

أحِلُّ لك عقدة من أمر الحياة

حين أطلعك على أسرار الحياة

من خصائص الحياة

أنه لا يقر لها قرار

فهى تتجلى من نفسها فى كل حين

وهى دائماً حرة غير مقيدة بجهة من الجهات

لا شأن لها بدنيا التأخر والإسراع

ولا يوجد فى ذهنها أمس أو غد

إن كان لديك نظر فانظر إلى نفسك

فأنت أيها الجاهل لست سوى " جولان مستمر "

حتى تُظهر لمعانها اللامشهود

عقدت شعلتها في ستار دخانها

سيرها يبدو للنظر سكونًا

موج نهرها عقدته في الجواهر

نارها أنفاس تسحبها في داخلها

حتى تبدو على الأغصان

مثل أزهار شقائق النعمان

فكرك العاجز لا يستطيع أن يفهم كنه الحياة

وهكذا ظن اللون الطائر وردًا

الحياة طائر لكن لا أيك له

فهو طيران اللون

ليس له شأن سوى التحليق

الحياة طائر

داخل قفص لكنه حر

تنطلق ألحانها

ونغماتها دون انقطاع

الحياة طائر يتطاير ريشه كل لحظة

وفى كل لحظة يختلق الأسباب

تعقد العقد فى أعمالها

ثم تجعل كل صعب فيها سهلاً

تضع القدم فى الطين

حتى تسرع بالخطو

وحتى تسرع فى دورانها

الذى هو من طبيعتها

الألحان كامنة فى حرقتها

وهكذا يتولد من يومها الأمس والغد

فى كل لحظة هناك مشكل

فى كل لحظة هناك سهولة

فى كل لحظة قلق جديد

وفى كل لحظة شأن جديد

إن تكن مثل الريح ليس فى القدم قيد

فهى تجعل لك من الصدر وطنًا

تنزل فيه فتخرج نفساً

اعقد صلات نفسك

وانسج خيوطها على ذاتك

وأحكم العقدة على الذات

فهى فى العقدة مثل الحبة

تنبت الأوراق والأغصان

فاهتم بالذات حتى تصير النبتة شجرة

وعلى الذات تظهر خلعة الماء والطين

فتتشكل اليد والقدم والعين والقلب

وهكذا تختار الحياة الخلوة داخل الجسد

ثم تخلق الحياة الجماعات الكثيرة فيما بعد

وهكذا تكون سنة ميلاد الأمم

حين تجتمع الحياة على مركز معين

والمركز للجماعة مثل الروح فى الجسد

مثلما يكون الخط مضمراً فى النقطة

والمركز للأمة نظام وربط وضبط

وبالمركز يكون دوام حياة الأمة

أصحاب أسرار نحن

وسرّنا هو بيت الحرم

أصحاب ألحان نحن

وقيثارتنا بيت الحرم

فحين ننفخ النفس فى صدره

يكون هو الروح الحبيبة ونحن الجسد

من نداه تنضر وجه بستاننا

ومزرعتنا تسقى من زمزمه

تضىء الشمس وتسطع من ذراته

تغوص الشمس فى نقائه

نحن من دعواه فى هذه الدنيا دليل

نحن من براهين إبراهيم الخليل

رفعنا صوتنا مجلجلاً فى العالم

وقد وصل محدثنا بما هو قديم

صارت الملة البيضاء متحدة

بالطواف من حوله

مثل صبح الشمس صرنا داخل قفص

في حساباته كثرتنا صارت واحدة

وبهذه الوحدة أحكمت قوتنا

أنت حى بارتباطك بالحرم

ويبقى ثباتك وخلودك

طالما بقى طوافك حول البيت

إن حياة الأمم فى العالم تكون بالتجمع

والتوحد

فانظر سر الحرم فى هذا التجمع

أيها المسلم ! يا صاحب الضمير الحى !

خذ العبرة من مآل قوم موسى

فحين خرج المركز من يد القوم

تحطمت القرابة

التى تلم شملهم وتوحد قومهم

كان من بين هؤلاء من تربوا فى أحضان الرسل

كان الواحد منهم عارفًا بأسرار الكل

حين خرج المركز من يدهم

تحولت حياتهم إلى دماء

ظلت تترقرق فى عيونهم

كانوا كعنقود عنب

زالت الطراوة من غصنه

ولم تنبت فى ترابهم شجرة البيد [1]

انتهت لغتهم بسبب الغربة والتشتت

فقدوا تجانسهم وفقدوا أوكارهم

انطفأ الشمع ، بينما الفراشة تبكى

حين نتذكر سيرة أولئك القوم

يرتعد الجسم ويرتعش

يا عليلاً ! تشكو من سيف ظلم الأيام

يا أسير الشك والظن والأوهام !

اجعل ثوبك ثوب الإحرام

وأظهر صبحك من غبار المساء

ومثل آبائك أطل السجود

أطله حتى تغرق فيه

عندها ترى عين السجود

سيطر المسلمون الأوائل بخشوعهم

على العالم

وفي سبيل الحق مشوا على الشوك

فتحول الشوك من تحت أقدامهم إلى روضة

في معنى أن التجمع الحقيقي والوحدة الحقيقية تكون بالتمسك بالهدف القومي وهدف الأمة المحمدية هو حفظ التوحيد ونشره

أعلمك لغة الكائنات

فالحروف والألفاظ هي أعمال الكائنات

حين يتعين هدف الحياة ومقصدها

فإنه يكون " مطلعًا" للحياة ذا معنى [١]

إن حياة بلا هدف حياة بلا معنى

فلا بد للحياة من مقصد

إذا صار " مهمازنًا مقصداً

فإن فرسنا ينطلق مثل الريح

فسر بقاء الحياة مضمر فى المقصد

وهو جمع لأشتات قوى الحياة

حين تدرى الحياة ما المقصد

تصير ضابطة لأسباب هذا العالم [٢]

وهكذا الربان يبحر فى البحر

يهدف الوصول إلى الساحل

بينما يمضى المسافر

على الدرب يهدف الوصول إلى منزله

وهكذا تظهر الجروح على قلب الفراشة

من ذوق الحرقة

لذا تطوف حول السراج من ذوق الحرقة [٣]

وقيس يجوب الصحراء

هدفه الوصول إلى محمل ليلى

لم تطأ أقدامنا الصحراء

منذ أن صارت ليلانا فى المدينة

المقصود كامن فى العمل

تماماً مثل الروح فى البدن

وهكذا تتجلى قيمة كل عمل من مقصده

من كيفه وكمه

فالمقصد هو معيار حسن وتقبيح كل عمل

إن دوران الدم فى عروقنا

يسرع بسبب السعى للحصول على هدفنا

ثم تحترق الحياة نفسها من خروجه

تصير مثل زهرة شقائق النعمان

تلتقط النار فى أحضانها

المقصد هو مضراب عود الهمة

هو جاذب كل قوة إلى مركز واحد

حرك أعضاء الأمة

جعلهم ينظرون بعين واحدة

إلى هدف واحد

فيا أيها المسلم ! حدد لنفسك مقصداً

وصر كالمجنون تسعى إليه

طف حوله مثل الفراشة

تطوف حول اللهب

أبدعت قيثارة " القمى" الشاعر لحنًا جميلاً

فعلم الأوتار المعنى البديع

"أراد أن ينزع الشوك من قدمه

ففات المحمل عن أنظاره "(٤)

إذا غفلت لحظة ولو بقدر خروج النفس

فإنك تبتعد عن المنزل بقدر مائة فرسخ

هده الكائنات القديمة

التى يطلق عليها اسم العالم

إنما تتشكل من امتزاج الأمهات (٥)

كم من مئات الغاب زرع فيها

حتى يخرج منها نوحة واحدة !

كم من مئات الرياض دمت

حتى تخرج زهرة لاله واحدة (٦) !

كم من الأنات بثت فى حقل الروح

حتى ظهر صوت أذان واحد !

كم من زمن مضى والحرب تدور على الأحرار !

كم من زمن مضى على أعمال أرباب الباطل !

وفى النهاية زرعت بذرة الإيمان فى طينتك

وعلمت كلمة التوحيد

لا إله إلا الله هى نقطة أدوار العالم

لا إله إلا الله هى انتهاء شأن العالم

يدور الفلك من قوتها

وبها تحيل الشمس الظلمة إلى نور

يخلق البحر من نورها الدرر

ويرقص الموج ويتمايل من حرارتها

ومن موجها صار التراب ورداً

وصار الريش من حرارتها بلبلاً

ومن حرارتها بدت شعلة فى عروق الكرم

ومن حرارتها صار كأس الطين ملتهباً

لحنها مستتر فى قيثارة الوجود

فأقبل أيها العارف وأمسك بقيثارة الوجود

فأنت تملك بداخلك مئات الأغنيات

مثل الدم الذى يسرى فى جسمك

فانهض وحرك المضراب على وترها

فأنت فيها سر للتكبير

فالهدف منك هو حفظ لا إله إلا الله

ونشر لا إله إلا الله

وما لم يدوِ صوت الحق فى العالم

فلا يجب عليك أن تهدأ أو تتقاعس

بل عليك أن تستمر فى الجهاد

أنت لا تعلم آية " أم الكتاب "

فقد سماها الرب " آية العدل "

وجه أيامك نور وضياء

أنت فى الدنيا شاهد على كل الأمم(٧)

وهكذا أيها المسلم

فلتدعُ إلى الإسلام كل العقلاء وكل الحكماء

ولتنشر ما جاء عن النبى الأمى

من علم ومعرفة

فكلامه ليس فيه ما يصدر عن الهوى

كلامه تفسير عبارة " ما غوى " (٨)

تحسست يداه نبض الكائنات

فتجلت له أسرار تقويم الحياة

هذه الروضة من قباء شقائق النعمان

لقد طهر ما فيها من دنس قديم

دينه مرتبط بالحياة على الدوام

وهى لا يمكن أن تمضى دون شرعه وهديه

يا من تملك فى حضنك كتابه

أسرع وضع القدم فى ميدان العمل

ففكر الإنسان موجه على الدوام

إلى عبادة الأصنام أو نحتها

ففى كل زمان يبحث عن شكل آخر للأصنام

يعيد الطريقة الآذرية [٩] إلى الأذهان

ويصنع أحدث إله للإنسان

طرِبٌ مما يحدث من سفك دماء

اسمه اللون والوطن والنسب

ذُبح الإنسان مثله مثل الغنم

ذبح عند أقدام هذا الصنم

يا من تشرب من كأس الخليل

يا من يفور دمك من صهباء الخليل

أغمد سيف "لا موجود إلا هو" فى هذا الباطل(١٠)

الذى يلبس رداء الحق

كن نوراً وضياءً فى ظلمة الأيام

وانشر ما جاء مكملاً إليك (١١)

أرتعد مما خجلتنا به

ففى يوم الحساب سوف يسألك النبى :

قد أخذت الحق عنا

فلِمَ لم تبلغه للآخرين ؟!

فى معنى أن توسيع حياة الأمة من تسخير قوى النظام العالمى

أيها المسلم ! يا من تؤمن بالغيب

إنك مثل السيل الهدار

لا تبغى قيد الساحل

انهض من هذا الطين مثل الغصن

صل القلب بالغائب

وصارع الحاضر

فهذا الحاضر هو تفسير للغيب

وهو فاتحة تسخير الغيب

خذ نصيباً من تسخير الكائنات(١)

اجعل صدرك لوحة لرمى السهم .. لا تبالى

وابحث فى الكائنات حتى يمرق سهمك فيها(٢)

يجب أن تكون هناك عقدة من بعد عقدة

حتى تكون هناك متعة فى حلها

أيها البرعم ! فسِّر من ذاتك معنى الروضة

أيها الندى ! سخر الشمس (٣)

لو استطعت القيام بهذا العمل الطيب

فإن حرارة أنفاسك تذيب أسد الجليد

فمن يسخر الكائنات يشيد من الذرة عالمًا

إن من ضرب سهمه

فجرح صدر الملائكة

إنما قام أولاً بربط آدم فى المصيدة (٤)

هذه الكائنات جميعها

الجبال والصحراء والوديان والأنهار

والبحر والبر .. جميعها

لوح تعليم لأرباب النظر

يا من نمت من تأثير الأفيون

ونظرت إلى عالم الأسباب نظرة دونية (٥)

استيقظ من نوم الغفلة وانهض

افتح عينيك .. أيقظ بصرك السكران

لا تنظر باحتقار إلى هذا العالم المسخر

لا تعتبره عالمًا غير طاهر

فالغاية منه توسيع ذات المسلم

وهو امتحان لما يستطيع المسلم عمله

إنه يضرب جسمك بسيف الزمان

حتى تشعر بالدم يسرى فى بدنك

اضرب الصدر بقوة الحجر

حتى تختبر عظامك

لقد جعل الحق الدنيا من حظ الخيريين

وجعل جلوتها من نصيب بصيرة المؤمن

هذه الدنيا هى درب القافلة

هذه الدنيا هى عيار "نقد" المؤمن

فاقبض عليها قبل أن تقبض هى عليك

لا تجعلها تحتويك كما يحتوى القِدر الصهباء

فكر فى هذه الحقيقة

فحصان فكرك سريع (٦)

حتى إنه يجتاز آفاق السماء

فهو على الأرض لكن خطوته تصل الأفلاك

حتى يسخر قوى هذا النظام

حتى يتحول إلى نظام بديع

على الإنسان أن يصير بحق

خليق الحق

حتى يصير حكمه نافذاً على الدنيا كلها

لك من الضيق سعة فى الدنيا

وهناك فسحة لعملك فى هذه الدنيا

تضع نفسك فوق ظهر الريح !

اركب الريح

ألجم هذا الجواد وتحكم فيه

لطِّخ اليد بدم الجبل (٧)

وأخرج الدر من البحر

فهناك مئات العوالم مختفية فى فضاء واحد

هناك شموس وشموس مختفية فى الذرات

فانظر في نور شعاعها ما لا يُرى

واكشف الأسرار التى صعب فهمها

سخِّر الشمس إن استطعت

واقتبس من شعاع الشمس النار

واستخرج من السيول الكهرباء

الأنجم الثابتة والأنجم السيارة

التى كانت آلهة تعبد لدى سابق الأمم

هى كلها تحت إمرتك

هى عبيد وجوار لك

هى كلها مسخرة من أجلك

فتدبر وفكر فيها جيداً

وسخِّر الأنفس والآفاق

افتح عينيك وانظر إلى الأشياء

انظر المعنى فى ستارة الصهباء

حتى تنال نصيباً من حكمة الأشياء

فكم من ضعيف سيطر على قوى

هذه الكائنات هى فى ظاهرها بسيطة

إلا أنها لا تخلو من المعانى

لا تتوهم بأنه لا قيمة الآن "للعود القديم"

فإن النغمات تنطلق من قوة البرق

شرط أن يعمل العقل ويظهر الذكاء

ويكون العازف نفسه هو المضراب

يدق أوتار عوده

أنت أيها المقصود من أمر " انظروا "

كيف تمضى على الطريق مثل الأعمى ؟ (٨)

قطرة من نفسها تدرى سرها

خمرة فى الكرم ، وعلى الورد ندى

وحين تكون فى بحر تصير درة

جوهرها مضىء مثل النجم

فغص فى معنى الروضة

ومثل ريح الصبا لا تتوقف عند الصور

إن من يلقون بشباكهم على الأشياء

ويعرفون حقيقتها

يصنعون مراكب تدور بالحرارة والكهرباء

أبدع اللحن دون مضراب

ومن الأحرف طيّر الطيور (٩)

يا من تقبع حزيناً غافلاً عن صراع الحياة

يا من لا تستفيد من حركة الحياة

إن منافسيك قد وصلوا إلى هدفهم

ليس هذا فقط

لكنهم أخرجوا " ليلى" معانيكم من المحمل أيضًا

وها أنتم تتجولون فى الصحراء هائمين مثل قيس

متعبين عاجزين يائسين

" علم الأسماء " هى فخر آدم (١٠)

وحكمة الأشياء هى حصن آدم

فى معنى أن الأمة تصل إلى مرتبة الكمال حين تشعر بنفسها مثلها مثل الأفراد وتوليد هذا الشعور وتكميله يكون بالحفاظ على سنن الأمة وقيمها

أيها البصير ! هل رأيت الطفل حين يولد ؟!

لا يدرى شيئًا عن نفسه

لا يعرف الفرق بين البعيد والقريب

يريد أن يمسك بيده القمر

غريب عن الكل

لا يهمه سوى أمه

والبكاء والحليب والنوم كل همه

فحين يريد الحليب يبكى

وحين يرضع الحليب ينام

لا تميز أذنه بين النغمات

والأغنية عنده ما هى إلا شخشخة السلاسل

كل رأس مال فكره هو البحث عن

لماذا؟ وكيف؟ ومن؟ وأين؟

ويظل منشغلاً فى البحث عن هذا وذاك

يظل يتطلع فيما حوله

يحاول أن يعرف ماذا يدور من أشياء

ولو قام شخص من خلفه

وغطى عينيه

شعر بالاضطراب وأصابه الخوف

فكره الضعيف يفتح جناحيه بحذر

فى فضاء الأيام

مثل صقر يتعلم الصيد

يطلقه خلف الفريسة

ثم يعيده مرة أخرى إليه

حتى ينطلق لهيب فكره

وحتى يتطاير مثل الشرر من مجمرة النار

هنا تقع عيناه على نفسه

فيضرب صدره قائلاً : أنا .. أنا

ومن التذكر يبدأ التعرف على نفسه

ويبدأ في الربط بين أمسه وغده

ويربط أيامه بخيط الذهب هذا

مثل الجواهر تربط الواحدة تلو الأخرى

مع أن جسمه ينمو وينتقص كل لحظة

لكنه فى قرارة قلبه يقول : "أنا نفسى كما كنت

هذه الأنا الجديدة هى بداية الحياة

وهى نغمة اليقظة فى قيثارة الحياة

الأمة الجديدة مثل هذا الطفل الصغير

الطفل الصغير فى حضن أمه

هى طفل يجهل كنه نفسه

هى درة مغطاة بالصدفة

لم تصل غدها بيومها

ولم تتصل حلقات صباحها بمسائها

وهى فى عين الوجود مثل الإنسان

يرى الغير ويغفل عن رؤية نفسه

مئات العقد حُلَّت من خيط الذات

حتى ظهر طرف الذات

فإذا الزمان أراد أن يختبرها

ظهر هذا الشعور الجديد وثبت

ترسم السطور وتخط الصفحات

ثم تمحوها .. تكتب سيرة ذاتها

والفرد يبلس حين يتناثر عقد أيامه(١)

ويصبح شأن إدراكه حبات متناثرة

إن نور الأمة يستمد من نور السيرة

والأمة تعرف نفسها بذكرى السيرة

إذا ما ضاعت سيرة الأمة من ذاكرتها

ذهبت الأمة فى طى النسيان

أيها العاقل ! أنت كتاب خطته سيرتك

أنت كتاب خيطه تاريخك وأيامك المتصلة

تاريخنا هو ثوبنا

وإبرة خيط هذا الثوب

هو حفظ القيم التليدة

وحفظ سنن آبائنا

ما هو التاريخ ؟ ! يا من غفلت عن نفسك

هل هو حكاية ؟ هل هو قصة أو رواية ؟

إنه ما يعرفك بنفسك

به تعرف الأمور

وتمضى بدرايتك له على الطريق

إنه للروح مثل الحرارة

وهو لجسم الأمة مثل العصب

هو مثل الخنجر يجلو عنك الصدأ

ثم يلقى بك على سطح هذا العالم

هو مثل قيثارة الروح محبوبة ساحرة

النغمات الماضية أسيرة لأوتارها

انظر الشعلة الخامدة فى حرقته

انظر يومه فى حضن أمسه

شمعه كوكب حظ الأم

النور منه هذه الليلة

والليلة الماضية أيضاً نورها منه

عينه المملوءة بالنشاط والعمل

تخلق الماضى أمامك

تعيده إليك

وتعيد السكر القديم فى صهبائه

بينما الصائد يعيد فى الشرك

طائر كان قد طار من بستاننا

فاضبط التاريخ

واستحكم به

وعش بأنفاسه المتلاحقة

احكم وصل الأمس بالغد

وامض بالحياة طوع اليد

وأمسك بزمام الأيام فى يدك

وإلا تعش أعمى فى الليل والنهار

فمن الماضى يظهر حاضرك

فحاضرك نتيجة ماضيك

ومن حاضرك يظهر مستقبلك

فمستقبلك ثمرة حاضرك

فإن أردت حياة خالدة

فلا تقطع علاقة حاضرك ومستقبلك بماضيك

فالحياة موج الإدراك المتسلسل

وهو يعنى استمرار هدير موج الحياة[٢]

فى معنى أن بقاء النوع الإنسانى متوقف على الأمومة وحفظ الأمومة واحترامها من أصول الإسلام

إنما النغمة تصدر من عزف حواء

على قيثارة آدم

وكل محاسن آدم إنما هى من سعى حواء

فالنساء لباس لعرايا الرجال [١]

إن ثوب العشق من حسن الحبيب

تربى عشق الحق فى حِضنها

وهذا النغم من مضرابها الصامت

ومن فضل وجوده على جميع الكائنات

ذكرها مقرونة بالطيب والصلاة (٢)

المسلم الذى لا يعرف لها قدراً

لم ينل نصيباً من حكمة القرآن

لو فكرت جيداً عرفت أن الأمومة رحمة

الأمومة التى لها نسب مع النبوة

شفقتها شفقة النبى وسيرة الأم من صفتها

تعميرنا صار أكثر إحكاماً بالأمومة

وتقديرنا علا فى سيماها

إن كان لك قدرة على الوصول إلى طيات المعانى

فانظر إلى لفظ الأمة

عليك أن تجد فيه معانى مثيرة (٣)

لقد قال النبى شارحًا ما ورد فى كتاب الخالق :

"الجنة تحت أقدام الأمهات "

إن الأمة دليل على تكريم الأمهات

فبدونهن يصبح شأن الحياة عبثًا ليس إلا

بالأمومة تكون حركة الحياة وسيرها

وبالأمومة يكون كشف أسرار الحياة

وسبل أغوارها

وبالأمومة يمضى نهرنا دفاقًا

ويدوم فيه الموج والدوامة والحباب

هذه الفتاة القروية الساذجة

بعودها الفارع وجسمها السمين

لم تنل شيئًا من الصقل أو التعليم

ناعسة العينين قليلة الكلام

يتأذى قلبها من آلام الأمومة

وقد بدت هالات زرقاء من حول عينيها

نالت الأمة من حضنها مسلمًا غيورًا على الحق

وجودنا محكم من آلامها

وصبحنا مشرق من مسائها

أما تلك الخفيفة ناعمة البدن (٤)

ترى أن رعاية البيت جحيم

أضاء فكرها من نور الغرب

هى فى ظاهرها امرأة

وفى باطنها غير ذلك (٥)

فرّقت ما بين أبناء الأمة

حين وجهت سهام نظراتها الطائشة (٦)

عيونها جريئة تتجاوز الحدود

من حريتها ظهرت الفتنة

فهى ترى أن حريتها فى فقدان الحياء

علمها لم يتحمل عبء الأمومة (٧)

وليلها لم يُضِئْ فيه نجم واحد (٨)

ليت هذه الوردة

لم تظهر فى بستاننا

ليت هذه البقعة

تُغسل من ذيل ثوب أمتنا

أنجم " لا إله إلا الله " (٩) لا تحصى ولا تعد

وهى كامنة فى غيب الأيام

لم تخرج حتى الآن من العدم

لم تخرج من " الكيف والكم "

مضمرة هى فى ظلمات وجودنا

وتجليها لا يزال خافياً عنا

قطرات الندى لم تقع على ورق الورد بعد

والبراعم لم تفتقها ريح الصبا بعد

إن أزهار شقائق النعمان هذه

إنما تنبت فى دروب بساتين الأمهات

يا صاحب النظر ! يا صاحب البصيرة !

إن رأس مال الأمة ومتاعها ليس من النقد

ولا من المنسوجات ولا من الذهب والفضة

رأس مال الأمة هم أبناؤها الأقوياء

الأصحاء

أصحاب العقول الندية والسعى الجاد

أصحاب النشاط والعمل

فالأمهات يحفظن رمز الأخوة

والأمهات هن سند القرآن والملة

فى معنى أن سيدة النساء فاطمة الزهراء

أسوة للنساء المسلمات

إن عزة مريم لدينا

بسبب كونها أم عيسى

وعزة فاطمة لدينا

بسبب أمور ثلاثة :

فهى نور عين النبى الذى هو رحمة للعالمين

وهو إمام الأولين والآخرين

الذى نفخ الحياة فى صورة هذه الدنيا

وأوجد سنن العصر الجديد

وهى زوج المرتضى أسد الله

الذى هو ملك لا يملك

فليس فى إيوانه من متاع

سوى حسام ودرع

وهى أم قائد قافلة العشق

الحسن والحسين

أحدهما شمع ليل الحرم

حافظ جماعة خير الأمم

ترك من ورائه التاج والخاتم

حتى يطفئ نار الحقد والضغينة

والآخر مولى أبرار الدنيا

وهو قوة ساعد أحرار الدنيا

إن حرقة لحن الحياة

تنبع من الحسين

أهل الحق ينالون درس الحرية من الحسين

إن سيرة الأولاد من صنع الأمهات

وجوهر الصدق والصفاء تجلوه الأمهات

هم محصول البتول فى مزرعة الحق

فهى أسوة كاملة للأمهات

تألم قلبها لكل محتاج وتأذى لكل سائل

فباعت خمارها لليهودى

الكل صار مطيعًا لأمرها

رضاها فى رضا زوجها

تربت وترعرعت بين الصبرِ والرضا

يدها تدير الرحى بينما فمها يرتل القرآن

جرت دموعها على وسادتها

فانتشرت الجواهر فوق مصلاها

فالتقط جبريل الأمين حبات دموعها

نثرها مثل قطرات الندى

فوق العرش العالى

لولا ارتباطى بشرع الحق

وتمسكى بأمر المصطفى

لقمت بالطواف حول قبرها

وقمت بالسجود على تربتها

خطاب إلى النساء المسلمات

يا أيتها المرأة المسلمة !

حجابك يصون عرضنا وعزتنا

وإيمانك هو مشعل فانوسنا

هو متاع حياتنا القومية

طبعك الطاهر لنا رحمة

هو أساس الأمة

هو للدين قوة

علمت طفلنا قبل الفطام كلمة التوحيد

علمته "لا إله إلا الله" قبل أن يبدأ الكلام

تشكلت فى حضن حبك أطوارنا

تشكل فكرنا وقولنا وعملنا

سطع برقنا من سحابك

فأضاء على الجبل وشع فى الصحراء

أنت أمينة على نعمة شرع الحق

فى أنفاسك حرقة دين الحق

العصر الحاضر عصر كله مكر وغرور

يغير بقافلته على الدين

إدراكه أعمى لا يعرف الله

كم من البسطاء وقعوا فى شراكه

عينه جسورة وقحة

كم من إنسان سقط فى مخلب أهدابها

صيده يظن نفسه طليقًا حراً

وميته يظن نفسه حيًّا

بك ينضر نخل مجتمعنا

فأنت حافظة لمتاع الأمة

فلا تبالى بنفع أو خسارة

وامض على جادة طريق الآباء

امض على نهج السلف

انتبهى ! احذرى من يد العصر الضارب

واحفظى أبناءك فى حضنك

هذه الأفراخ التى لم تتفتح أجنحتها بعد

قد ابتعدت عن عشها

فطرتك تسمو بعواطفها

فاتبعى درب الزهراء فهى نعم الأسوة

حتى يثمر على غصنك حسين

وحتى يحل الربيع فى روضة قد ذبلت

خلاصة مطالب المثنوى فى تفسير سورة الإخلاص

﴿ قل هو الله أحد ﴾

شاهدت الصديق ذات يوم فى الحلم

رأيت فى الحكم الأزهار

تنبت من تراب قدميه [١]

ذاك " آمن الناس " على نبينا وسيدنا

ذاك الكليم الأول لطور سيناء [٢]

همته عالية

فهو مثل المطر لحقل الأمة

وهو ثانى من أسلم

وثانى من دخل الغار

وثانى من دخل القبر

بجوار المصطفى

قلت له : يا صفوة أصحاب العشق !

عشقك " مطلع" ديوان العشق

نضج أساس عملنا على يديك

وكنت مداويًا لجميع آلامنا

قال : إلى متى ستبقى أسيراً للوهم والهوس ؟!

خذ العلاج كله من سورة الإخلاص

فهى نفس يجول فى الصدور

وهى سر من أسرار التوحيد

لوّن نفسك بلونها ، وكن مثلها

وكن مثالاً لجمالها فى هذه الدنيا

إن من سمّاك مسلمًا

أخذك من التثنية إلى الوحدة

لقد سميت نفسك تركيًا وأفغانيًا

آه ، إنك لا تزال كما كنت !!

تخلص من كل هذه المسميات

وامض مع الإسلام

واقطع علاقتك بتقسيم المكان

اقطع علاقتك بالقوميات والأوطان

يا من وقعت فى شرك المسميات

فسقطت من فوق غصن شجرتك

وابتعدت عن روضتك

كن مع الوحدة واترك التثنية

لا تقطع وحدتك إلى قطع صغيرها

لا تحيلها إلى فتات

يا من تعبد الواحد الأحد

لو كنت موحداً

فإلى متى تقدم درس الثنائية ؟ !

اربط نفسك على دارك

وثبت فى القلب ما على لسانك

لقد قطعت الأمة إلى مائة أمة

وهجمت على الحصن الذى يحميك

فكن واحداً ! واشهد بالتوحيد

وأوجد الغائب من العمل (٣)

إن لذة الإيمان تزداد بالعمل

والإيمان يموت إذا لم يقترن بالعمل

الله الصمد

أيها المسلم ! لو ربطت قلبك بالله الصمد

فإنك تتحرر من قيد الأسباب وحدودها

إن عبد الله ليس عبداً للأسباب

والحياة ليست دوران دولاب يدور

إن كنت مسلماً فلا تلجأ لغير الله

فهو لأهل الدنيا كلها معين

لا تشكو حالك لأحد أبداً

ولا تمدن يدك ولا تخرجها من كمك

كن مثل عليٍّ ! واقنع بخبز الشعير

اقطع رقبة " مرحب اليهودى " وافتح خيبرا

لماذا تحمل منة من أهل الكرم ؟

لماذا تظل فى فكر من يقول لك لا ؟

أو من يقول لك نعم ؟

لا تطلب رزقك من كف لئيم أو دون

إن كنت يوسفاً فلا تبع نفسك بثمن بخس

وإن كنت نملة ، وكنت دون وبر ودون جناح

فلا تطلب حاجتك ولا تأملها من سليمان

الطريق صعب

فخفف الزاد

عش فى الحياة حراً ومت حراً

اجعل شعارك " أقلل من الدنيا "

اجعله رأس مالك " تعش حراً "(١)

وبقدر ما تستطيع كن إكسيراً

ولا تكن ترابًا

وكن فى الدنيا معطاءً لا سائلاً

يا من تدرى مقام " بو على " (٢)

أقدم لك جرعة من كأس "أبى على"

" اركل برجلك عرش كيكاؤس

قدم الرأس ولكن

احفظ ناموسك وشرفك "

إن باب الحانة يفتح من تلقاء نفسه

لأولئك الفقراء غير المعوزين

قائد المسلمين هارون الرشيد

الذى أذاق الفغفور من ماء سيفه (٣)

قال : يا مالك ! يا مولى الأمة !

النور من تراب بابك غطى على الأمة

يا من أنت بلبل روضة الحديث !

أريد منك أن تعلمنى أسرار الحديث

لِمَ يختفى هذا العقيق الأحمر فى اليمن ؟!

انهض وتعال ! أقم هنا فى دار الخلافة

يا لسعادة زهرة أيام العراقى

يا لجمال هذا الحسن

الذى يروق للنظر

ماء الخضر يسرى فى عروقه

وترابه مرهم جرح الطبيب

قال مالك : إنى خادم المصطفى

ولا أبغى شيئًا سوى رضاه

أنا لست إلا رجلاً وقع فى حبه

كيف أبتعد عن مكانه الطاهر ؟

أنا حى بتقبيل تراب يثرب

إن ليلى هنا أطيب من صبح العراق

العشق يقول : اخضع لأمرى

ولا تقبل خدمة الملوك

أنت تريد أن تكون لى سيداً

أن تكون مولى لعبد حر

هل آتى إلى بابك طلباً للعلم ؟

أخادم الأمة فى نظرك لا شىء ؟ !

إن أردت نصيباً من علم الدين

فلتأت ولتجلس فى حلقة درسى

إن من يستغنى يملك الدلال

ودلاله له طرق وله أشكال وألوان

الاستغناء يصبغ المرء بصبغة الله

وهو يغسل من ثوبه صبغة من سواه

هل تريد أن تتعلم علم الغير ؟

تريد أن تلون وجهك بطلاء الغير ؟

إنك تفخر بشعاره

أنا لا أدرى أأنت كما أنت مسلماً

أم أنك إنسان آخر ؟ !

صمت ترابك وسكت من نسيمه

صار البستان خالياً

من الورود والرياحين

لا تخرب زرعك بيدك

لا تستجدى من سحاب غيرك المطر

أفكار الغير قيدت بسلاسلها عقلك

وفى حلقك نفس من وتر الغير

على لسانك كلام مستعار

وفى قلبك أمنيات مستعارة

وطيورك فى حاجة إلى ألحان الغناء

وأشجار سروك تفتقد النضرة والرواء

إنك تملأ الكأس من صهباء الآخرين

والكأس أيضًا تستجديه من الآخرين

لو عاد إلى أمته صاحب النظر

الذى يدرك سر " ما زاغ البصر " (٤)

لعرف شمعه الفراش الذى يهفو إليه

ولعلم من هو منا ومن هو الغريب عنا

ولقال لك مولانا وسيدنا رسول الله

" لست منى " يا ويلتاه !

يا ويلتاه ! يا ويلتاه !

إلى متى العيش مثل الأنجم ؟!

إلى متى يضيع وجودك وقت السحر ؟!

لقد خدعك الصبح الكاذب

وهكذا تركت نفسك ومضيت

إن كنت شمسًا فانظر فى نفسك

ولا تسع إلى أن تنيرها

من نجوم الآخرين

لقد نقشت نقش الغير

على صفحة قلبك

وبعت الإكسير بالتراب

إلى متى تضيء سراجك من نور الآخرين ؟ !

وإلى متى تنتشى بخمر الآخرين ؟ !

إلى متى الطواف حول مصباح المحفل

احترق بنارك لو كان فى قلبك نار

مثل البصر ابق داخل ستائرك

لا تترك عشك مهما طرت وحلقت

أيها العاقل ! أنت فى الدنيا مثل الحباب

فأغلق طريق خلوتك أمام الأغيار

جاء كل فرد وقد عرف نفسه

جاءت كل أمة وقد اعتمدت على نفسها

دون غيرها

فاطّلع على رسالة المصطفى

واترك الأرباب من غير الله

لم يلد ولم يولد

قد سمت أمتك عن اللون والدم

وقيمة أسودها بمائة أحمر

وقطرة من وضوء قنبر [١]

هى فى قيمتها أغلى من دم قيصر

اترك الأب والأم والعم

وكن مثل سلمان ابنًا للإسلام [٢]

اسمع يا رفيقى هذه النكتة

وانظر الشهد فى خلايا النحل

قطرة من زهره شقائق النعمان الحمراء

مثلها مثل النار

وقطرة من زهرة النرجس الأبيض

هذه لا تقول أنا من النرجس

وتلك لا تقول وأنا من النيلوفر

أمتنا هى أمة إبراهيم

وشهدنا هو الإيمان الإبراهيمى

إن جعلت النسب ركن الأمة

فرق هذا شمل الأخوة

ومنع بذورك من أن تنمو فى أرضنا

ففكرك حتى الآن غير فكرنا

وإسلامك بعيد عن إسلامنا

ابن مسعود رضى الله عنه سراج نور العشق

جسمه وروحه معا لهيب نار العشق

صدره احترق من موت أخيه

وذاب القلب من الحرقة

من ذوبان مرآته

لم نر نهاية لبكائه المستمر

نوحه فى حزنه مثل نوح الثكلى من الأمهات

" يا للأسف ! من يعقل درس العظة

آه لسرورى الذى قد ورفا

رفيق يمضى فى مدرسة الحكمة

يمضى على طريق عشق النبى

يا للأسف ! إنه محروم من مشاهدة طلعته

وعينى تضىء من رؤية محياه

ليس أصلنا من الروم ولا من العرب

إن رباط النسب لا يربط بيننا

إنما القلب مرتبط بمحبوب الحجاز

وهذا الحب ربط بين الواحد والآخر

فرابطنا نظرة من حبه

ويكفى أعيننا نشوة من خمره

سكره يجرى فى دمنا

فقد جعلته النار القديمة جديداً

عشقه متاع الأمة ووحدتها

هو مثل الدم يسرى فى عروق الأمة

العشق فى الروح والنسب فى الجسم

وهكذا فصلة العشق أقوى من صلة النسب

لقد أدار العشق ظهره للنسب

وهكذا يجب أن ندير ظهورنا لإيران والعرب

أمته مثل أمة نور الحق

وجودنا مشتق من وجوده

" لا تبحث فى نور الحق عن النسب

ما حاجة خلعة الحق إلى اللحمة والسدى "(٣)

من ربط نفسه بقيد الوطن أو النسب

لا يدرى شيئًا عن " لم يلد ولم يولد "

ولم يكن له كفوًا أحد

ما المسلم ؟ ! المسلم هو من يغمض عينيه عن الدنيا

المؤمن هو من فطرة قلبه تربطه بالحق

ولا شىء غير الحق

إن زهرة شقائق النعمان

التى تنبت على قمة الجبل

لم تهتم بقاطف الورد

وهى ليست بحاجة إلى البستانى ليرعاها

حين ينفخ فيها السحر أنفاسه

تتحول نيرانها إلى شعل ملتهبة

تظن أنها كوكب تخلف عن الكواكب
لم تأخذه السماء فى حضنها
يقبلها أول شعاع من أشعة الشمس
حين يغسل الندى النعاس من عينيها (١)

يجب أن تتمسك بـ " لم يكن "
حتى تصير قويًا صلبًا بين الأمم
ذلك الواحد الذى لا شريك له
عبده أيضًا يرغب فى أن يكون له شريك
فالمؤمن يعلو على كل من علا
وغيرته تجعله لا يرضى أن يكون له قرين
ورده وتسبيحه فى الأزمات " لا تحزنوا"
تاج رأسه " أنتم الأعلون " (٢)
حمل على ظهره الدارين
تربى فى حضنه البحر والبر كلاهما
أذنه لا تأبه بجلجلة الرعد
وحين ينزل البرق يأخذه فى حضنه
سيفه يقضى على الباطل

وهو يحمى الحق
أمره ونهيه معياره الخير والشر
بداخله مائة شعلة تستعر
والحياة تكمل من جوهره
فى فضاء هذا العالم المادى
عالم " الها والهو "
لا يوجد سوى نداء تكبيره
لا يوجد سوى أذانه
هو عظيم فى العفو ، وعظيم فى العدل
وعظيم فى البذل وعظيم فى الإحسان
وهو إذا غضب فمن شيمه الكرم
لحنه فى المحافل لحن الكرم
وحرقته فى الحروب تذيب الحديد
هو فى الرياض صفير العنادل
وفى الصحراء مثل الصقر
المنقض على الفريسة
قلبه لا يقر له قرار تحت الفلك
وإذا ما استقر كان استقراره فوق الفلك

طائره منقاره نقر فوق النجم

وإذا ما حلق ، طار إلى ما وراء الفلك

أنت يا من لم تفتح جناحيك للطيران

صرت دودة تستقر تحت التراب

صرت ذليلاً بعد أن هجرت القرآن

وأخذت تشتكى جور الزمان

يا من هبطت على الأرض مثل الندى

وأمسكت فى حضنك بالكتاب الحى

إلى متى تتخذ من التراب وطنًا

احمل متاعك وحلق فوق الفلك

عرض حال المؤلف أمام رسول الله المرسل رحمة للعالمين

يا من ظهورك شباب الحياة

كانت جلوتك تعبير رؤى الحياة

يا نبى الله !

يا من نالت أرضنا مكانتها العالية بسببك

وعلت السماء من تقبيلك سقفها [١]

الجهات الست أضاءت من نور وجهك

وقد تبعك الترك والتاجيك والعرب والهنود

ارتفع بك قدر هذه الكائنات

ففقرك ذخر لهذا الكائنات

أضأت شمع الحياة فى الدنيا

وعلمت العبيد طبع السيادة

من دونك كان كل شيء فى الدنيا يعانى العوز

ويقاسى الظلمة

يحتاج إلى من ينفخ فيه الحياة

حتى خرج منك نفس أشعل النار فى الطين

فتحول هذا الطين إلى آدم

إلى إنسان

ذرة صارت فى حضن الشمس والقمر

صارت مطلعة على قوتها

منذ عرفت سيرتك

صرت فى نظرى أحب إلىَّ من أبى وأمى

أضرم العشق النار فى داخلى

فامنحني يا إلهى الفرصة حتى تحترق روحى

متاعى نوحٌ مثل الناى

ونوحى هو مصباح بيتى الخرب

من الصعب عدم التعبير عن الحزن الكامن بداخلى

من الصعب إخفاء الصهباء فى الكأس

صار المسلم غريبًا عن سر النبى

جهل المسلم سر النبى

حين جعل من نفسه بيتًا للأوثان

فقد ضم إلى حضنه الأصنام

من مناة ولات وعزى وهبل

شيخنا فاق فى الكفر البرهمن

فهذا الأخير فى رأسه سومنات فقط (٢)

شيخنا هجر متاع الحياة

الذى ناله من العرب

ونام مستكينًا فى حانة العجم

شلت برودة العجم أعضاءه

صهباؤه أبرد من دمعه

هو مثل الكافر يرتعد خوفًا من الأجل

صدره فارغ من القلب الحى

حملت نعشه من أمام الأطباء

وجئت به إلى المصطفى

أخبرت هذا الميت عن " ماء الحياة "

وقلت له سرًا من أسرار القرآن

حكيت له قصة أحباب نجد

وحملت له عطرًا من بستان نجد

أضأت المحفل من شمع الألحان

وعلمت الأمة سر الحياة والأزمان

قال : أهدى لنا سحر الإفرنج

وكان ضجيجه من أثر " آلة قانون " الإفرنج (٣)

وهب للبوصيرى بُردةً تكريمًا له

وهب لى " قيثارة سلمى " (٤)

امنح هذا الذى يفكر خطأ ذوق الحق

ذلك الذى لا يدرى شيئًا عن متاع نفسه (٥)

لو أن فى قلبى مرآة لا جوهر لها

ولو أن كلامى بغير القرآن مضمر

فإنى أرجوك أنت

يا نور العصور والدهور

يا من عيناك ترى ما فى الصدور

أن تمزق أستار فكرى

وأن تطهر الدرب من أشواكى

ضيق متاع الحياة الذى أحمله بداخلى

واحفظ أهل الملة من أخطائى

احرمنى من أمطار نيسان

وأبعد عن مزرعتى الغيث

وخفف الصهباء فى كرمى

وضع السم فى خمرتى

أخجلنى يوم الحشر

وأذلنى يوم الحساب

واحرمنى من السجود ..

إن كنت قد نظمت درر أسرار القرآن

وإن كنت قد قلت الحق للمسلمين

يا من بإحسانك صار الذليل عزيزاً

إليك أدعو دعاءً واحداً

وهذا كل قولى

اشفع لى عند الله عز وجل

وادعوه أن يجعل عشقى مقرونًا بعملى

لقد وهبتنى ثروة الروح الحزينة

ووهبتنى نصيبًا من علم الدين

فثبتنى أكثر على العمل الصالح

واجعل قطرات ربيعى درراً

جئت بمتاع الروح فى هذه الدنيا

حاملاً أملاً آخر

مثل القلب يستريح فى الصدر

حاملاً سر صبح حياتى

منذ تعلمت اسمك من أبى

ونيران هذه الأمنية مضرمة بداخلى

كلما أخافنى الزمن

ولعب بى فى قمار الحياة

شبت هذه الأمنية بداخلى

صارت الصهباء القديمة أكثر إسكاراً

هذه الأمنية جوهرة تحت ترابى

صارت فى ليلى مضيئة مثل النجم

ارتبطتُ حيناً بذوات الوجوه الحمراء

وعشقتُ حيناً صاحبات الشعر المتدلى والطرر

ورافقتُ حيناً الصهباء مع الغوانى

وأطفأتُ حيناً سراج العافية

رقصت أنوار الكهرباء من حولى

وسلب قطاع الطريق بضاعة قلبى

لم ينسكب هذا الشراب من زجاجتى

لم يفلت هذا الذهب الخالص من حضنى

وعقلى الآذرى [٦] لبس الزنار

فثبت نقشه فى إقليم روحى

وهكذا بقيت سنوات أسيراً للشك

الذى لا ينفك من دماغى الجاف

لم أطالع كلمات من علم اليقين

وهكذا بقى الشك مسيطراً على الفكر

كان ظل ليلى بعيداً

لم يكن له نصيباً من نور الحق

ولم يكن لمسائه نصيب من نور الشفق

وظلت هذه الأمنية نائمة فى قلبى

مختفية مثل الجوهرة داخل الصدف

وفى النهاية ..

انهمر الدمع من عينى

فانبعثت فى قلبى النغمات

يا من خلا القلب إلا من سواك

إن سمحت لى ذكرت هذه الأمنية

لكن كيف لمثلى أن يليق بهذه الأمنية

وليس لحياتى من العمل متاع

أنا خجل من بيان هذه الأمنية

لكن شفقتك شجعتنى

جعلتنى أكثر جرأة

يا من أنت رحمة لهذه الدنيا

كل أمنيتى هى أن أموت بالحجاز

المسلم يهجر ما سوى الله

فإلى متى أظل فى بيت الأصنام ؟!

يا للأسف حين تحل نهاية أيامه

يكون هذا الدير مثوى لرفاته [٧]

آه ، يا ليومى ! وأسعد بغدى !

لو نهضت من على بابك

ما أسعد هذه المدينة التى أنت فيها !

ما أسعد هذا التراب الذى تستريح فيه !

" دار الحبيب ومدينة مليكى

هى عند العاشق وطنه " (٨)

هى لكوكبى بصيرة منيرة

فهب لى مرقداً فى ظل جدارك

حتى يستريح قلبى المضطرب

وحتى يتجمع زئبقى المترجرج

فأقول للفلك : انظر إلى راحتى واطمئنانى

لقد رأيت بدايتى فانظر الآن إلى نهايتى !

الهوامش

أشعار مهداة إلى الأمة الإسلامية

(١) يقصد الشاعر أهل أوروبا .

(٢) أى أهل أوروبا .

(٣) هناك خرافة تقول بأن الإسكندر كان لديه مرآة يرى بها أقاليم الدنيا كلها .

فى معنى ارتباط الفرد والأمة

(١) جاء فى الحديث من ابتعد عن الجماعة شيطان .

(٢) هذا البيت لجلال الدين الرومى .

فى معنى أن الأمة

(١) أى الروضة .

(٢) وهكذا على الفرد أن يجد ويعمل داخل الجماعة .

(٣) أى جعل أفراد الأمة جماعة واحدة .

الأركان الأساسية للأمة الإسلامية

(١) إشارة إلى الآية ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾ الآية ٩٣ مريم .

(٢) فى الأسطورة كانت أقاليم العالم السبعة تشاهد فى كأس جمشيد ، والشاعر هنا يقول بأن الإناء الذى يقدمه الشحاذ للمحسنين يصير مثل كأس جمشيد ، ويتحول صاحبه إلى ملك .

فى معنى أن اليأس والحزن

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ لا تَقْنَطُوا من رَحمةِ اللَّهِ ﴾آية ٥٣ الزمر .

(٢) جبل الوند جبل يشرف على مدينة همدان الإيرانية .

(٣) إشارة إلى ما ورد فى القرآن الكريم على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ الآية ٤٠ التوبة .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الآية ١٩٢ البقرة .

(٥) إشارة إلى قصة موسى مع فرعون ، يقول تعالى ﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إنَّكَ أنتَ الأَعْلَىٰ ﴾ الآية ٦٨ طه .

(٦) يقصد الشاعر هنا أن حرف الميم حرف مظلم ، وهكذا فالميم حين تكتب – فى كلمة موت – تكون مظلمة

حوار بين السهم والسيف

(١) الشام فى الأصل بمعنى مساء ، وأيضًا بمعنى بلاد الشام ، وهو المعنى القريب وهنا تورية .

حكاية الأسد والسلطان عالمكير

(١) بنى شاهجهان تاج محل وجعله مدفنًا لزوجته فلما جاء عالمكير (بكاف فارسية تنطق مثل الجيم القاهرية) لم يبن لأبيه مدفنًا ودفنه بجوار زوجته فى تاج محل بينما بنى لنفسه مقبرة صغيرة .

الركن الثانى : الرسالة

(١) إشارة إلى قصة إبراهيم التى وردت فى القرآن الكريم وقوله . ﴿ ... فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾ آية ٧٦ الأنعام

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾ آية ١٢٨ البقرة .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ .. ﴾ آية ١٢٥ البقرة .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ الآية ٣٧ إبراهيم .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ الآية ١٢٨ البقرة .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴾ آية ١٦ الحج .

(٧) تحفظنا يشير الشاعر هنا إلى الآية الكريمة ٦٤ فى سورة يوسف ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

(٨) يشير إقبال إلى بيت ورد فى قصيدة البردة وهو :

أحل أمته فى حرز ملته كالليث حل مع الأشبال فى أجم .

(٩) هذه مبالغة من الشاعر أخذها عليه البعض وقد ورد فى الأصل الرب .

(١٠) الحديث الشريف " أنا خاتم النبيين لا نبى بعدى " .

فى معنى أن مقصود الرسالة المحمدية

(١) فرهاد مهندس فارسى مشهور .

(٢) برويز . ملك من ملوك الفرس ، وكانت لفرهاد قصة مع شيرين جارية الملك دونتها كتب الأدب وعرفت باسم فرهاد وشيرين .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الآية ١٣ الحجرات .

(٤) الحديث الشريف " المؤمن أخو المؤمن " وإشارة إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الآية ١٠ الحجرات .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ الآية ١٧٢ الأعراف .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ الآية ٢٩ الفتح .

حكاية أبى عبيد وجابان

(١) أبو عبيد الثقفى : أحد قادة المسلمين ، وجابان : قائد الفرس على العراق العجمى .

(٢) يزدجرد : ملك فارس زمن الفتح الإسلامى .

حكاية أمير خوقند (خجند)

(١) تكتب خجند وأيضًا خوقند ومراد أحد سلاطين خوجند الواقعة فى تركستان ، وقد حكم فى القرن الثالث عشر الهجرى .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ .. ﴾ الآية ١٧٩ البقرة .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ الآية ٩٠ النحل .

فى معنى الحرية الإسلامية

(١) هكذا يعتقد الشيعة .

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ .. ﴾ آية ١٠٧ الصافات ، وما يذكر إقبال هنا مبنى على معتقدات الشيعة .

(٣) انظر ما ورد فى كتب السيرة النبوية ، وهنا إشارة إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى هنأ الحسن والحسين بما نالاه من سعادة حمل الرسول لهما على كتفيه . " نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما "

(٤) كما أن سورة الإخلاص لها قدر خاص فى القرآن الكريم ؛ فهكذا الإمام الحسين له قدر خاص ومكانة خاصة بين الأمة .

(٥) الشطر الثانى مأخوذ من مفهوم رباعية لخواجه معين الدين جشتى .

(٦) إشارة إلى ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ الآية ١٠٧ الصافات .

(٧) أى التوحيد .

فى بيان أن الأمة الإسلامية مؤسسة على التوحيد

(١) إشارة إلى كعب بن زهير الذى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدته المعروفة " بانت سعاد فقلبى اليوم مبتول "، والبيت الذى يشير إليه إقبال هنا هو

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول

(٢) إشارة إلى الحديث " كنت نبيا وآدم بين الطين والماء " .

فى معنى أن الوطن ليس أساس الأمة

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ الآية ٢٨ /٢٩إبراهيم .

فى معنى أن أمة محمد ليس لها حدود

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ آية ٣٤ الأعراف .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ .. ﴾ الآية ١٧٢ الأعراف .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الآية ٩ الحجر .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ... ﴾ الآية ٣٢ التوبة .

فى بيان أن نظام الأمة

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ البقرة ٢ ، وقوله تعالى ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ يونس ٦٤ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ .. ﴾ الآية ٢١ الحشر .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾ المؤمنون ٥٣ ، وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ القمر ٦ .

(٤) شاعر فارسى من شعراء الصوفية

(٥) هما من رواة الحديث الضعيف . .

فى معنى أن التقليد فى زمن الانحطاط

(١) حرفيا النار القديمة .

(٢) الإمام جعفر يكنى بأبى عبد الله ويلقب بالصادق ، ولد بالمدينة المنورة سنة ٨٣ هجرية ، واحتل مكانة عالية فى العلم والفضل وحسن الخلق ، وتوفى سنة ١٤٨ هجرية . أما الإمام الرازى فهو محمد ويكنى بأبى الفضل ويلقب بفخر الدين ولد فى الرى بخراسان سنة ٥٤٤ هجرية ، ولهذا ينسب إليها فيقال الرازى ، وتوفى عن ٦٣ سنة ، اشتهر بعلمه ومؤلفاته العديدة التى زادت عن ٨٠ كتابا ، منها "مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير والمباحث الشرقية فى الطبيعة والإلهيات" .

فى معنى أن كمال سيرة الأمة

(١) جبل الوند سبق ذكره ، ويقع على مشارف مدينة همدان فى إيران .

(٢) الشيخ أحمد الرفاعى مؤسس الطريقة الرفاعية ولد فى البصرة ١١١٨م قضى كل عمره فى إصلاح أحوال المسلمين نظراً لانتشار التصوف البدعى غير الإسلامى وانتشار الملاحدة والزنادقة والباطنية وغيرها من الفرق ، وقد توفى سنة ١١٨٣م .

فى معنى أن حياة الأمة فى حاجة إلى

(١) شجرة البيد شجرة أغصانها ملتوية على بعضها ، ولهذا شبهوها بالمجنون لا يقر على حاله

فى معنى أن التجمع الحقيقى

(١) المقصود بالمطلع هنا هو مطلع القصيدة ، وعادة يكون أجمل بيت فيها ، ويقال حسن المطلع .

(٢) أي حين يحدد الإنسان هدفًا لحياته فإن جميع الكائنات تكون في نظره منضبطة ومرتبطة معًا ؛ فهو يجعل نفسه تابعًا للهدف فيختار من الحياة ما يناسبه ويرد ما دون ذلك .

(٣) لأن مقصد الفراشة هو الاحتراق .

(٤) المقصود ملك القمي الشاعر والبيت له وهو .

رفتم كه خارا از با كشم محفل نهان از نظر .

يك لحظه غافل كشتم وصد ساله را هم دور شد

والمعنى بالعربية ذهبت لأنزع الشوك من قدمي ، فاختفى المحفل عن نظري ، غفلت لحظة واحدة ، فبعدت عن دربي مائة سنة.

(٥) يقصد العناصر الأربعة

(٦) وهي زهرة شقائق النعمان الحمراء قانية اللون .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ البقرة ١٤٣ .

(٨) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ سورة النجم .

(٩) أي نحت الأصنام .

(١٠) المقصود هنا التوحيد .

(١١) إشارة إلى قوله تعالى . ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي .. ﴾ آية ٣ المائدة .

في معنى أن توسيع حياة الأمة

(١) في الأصل " تسخير يزدان " ويعني به الشاعر التخلق بأخلاق الله ، وهذا يشرح مصطلح " صبغة الله " الذي ورد في القرآن الكريم في سورة البقرة آية ١٣٨ ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ .

(٢) إذا ما فكرت وبحثت في الكائنات ظهرت القوى الكامنة بداخلك .

(٣) الإنسان فى الظاهر ضعيف مثل البرعم أو مثل قطرة الندى ، لكن بداخله قوة لو استخدمها لسخر الكون ، وهكذا يقول الشاعر · أنت برعم لكن فى ذاتك يكمن جميع أزهار الروضة ، وأنت ندى لكن عليك أن تجذب الشمس ، والشاعر هنا يؤكد ضرورة تسخير قوى العالم المادى .

(٤) كان قد حل أولاً عقدة الإحساس ثم جرب الهمة والعزم بتسخير الموجودات أى الكائنات .

(٥) أى فيك الأفكار غير الإسلامية ؛ لذا رغبت فى ترك الدنيا واحتقرت عالم الأسباب

(٦) المقصود قوة فكرك .

(٧) ويعنى الشاعر أن على الإنسان أن يستخرج المعادن والثروات من المناجم .

(٨) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾آية ١٠١ يونس

(٩) جعل الشاعر الأحرف مثل الطيور تطير ، وربما يشير إلى اختراع البرق والهاتف ، والمخترعات الحديثة اليوم تؤكد قوة بصيرته وإدراكه لما قد يحدث من تطور فى المستقبل ، أما أبدع لحنا دون مضراب .. فهو بيت للشاعر مرزا مع تغيير بسيط وأصله

نغمه هاى بى زخمه از ساز آورند حرف جون طائر به برواز آورند

(١٠) يشير إلى الآية الكريمة ﴿ وعَلَّمَ آدم الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ... ﴾ البقرة آية ٣١ .

فى معنى أن الأمة تصل إلى مرتبة

(١) يقصد تاريخه .

(٢) يقصد الشاعر أنه إذا كان تسلسل الحياة باطلاً فإن الحياة نفسها سوف تنتهى .

فى معنى أن بقاء النوع الإنسانى

(١) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ .. ﴾ الآية ١٨٧ البقرة .

(٢) إشارة إلى الأثر الطيب : حبب إلىَّ من دنياكم ثلاث · الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة .

(٣) يشير الشاعر إلى أن مادة الأمة هى أم ، وأم تقال للوالدة ، والأمة تنتسب إلى الأم وليس

إلى الأب والسبب هو أن الأطفال يتربون فى حضن الأم .

(٤) خفيفة كناية عن المرأة التى لم تنجب .

(٥) رغم أنها على هيئة امرأة لكنها مثل الرجل فى سيرتها وترى أن الإنجاب مصيبة .

(٦) أى أن سلوكها سبب إضعاف أمتنا فبدلاً من أن تخفض العين أمام من تنظر إليه ترسل بالسهام الطائشة إلى هذا وذاك .

(٧) أى لم تلد .

(٨) أى لم تنجب .

(٩) أى أنجم التوحيد .

فى تفسير سورة الإخلاص : قل هو الله أحد

(١) ينسب إقبال هذا التفسير إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو هنا يقصد بأنه استلهم أفكاره من أفكار أبى بكر رضى الله عنه .

(٢) إشارة إلى الحديث النبوى " آمن الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر " .

(٣) أى اكشف عن المعنى الخفى لكلمة التوحيد عن طريق العمل .

الله الصمد

(١) إشارة إلى قول الفاروق عمر رضى الله عنه " أقلل من الدنيا تعش حرًا " .

(٢) أبو على قلندر أحد كبار الصوفية فى الهند ، وهو من أولاد أبى حنيفة النعمان ، وهذا شعره

(٣) الفغفور أحد ملوك بيزنطة وقد انتصر عليه هارون الرشيد .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ آية ١٧ النجم .

لم يلد ولم يولد

(١) قنبر هو غلام على رضى الله عنه .

(٢) سئل الناس سلمان عن شجرة نسبه فقال أنا ابن الإسلام .

(٣) هذا البيت لجلال الدين الرومى .

لم يكن له كفوا

(١) يريد الشاعر أن يقول إن الإنسان يجب أن يجعل مقصوده فى الحياة الله وليس الدنيا ؛ فلا شك أنه يعيش فى الحياة لكن لا يجب أن يجعل قلبه متعلقًا بها مثلما الزهرة التى تنمو على قمة الجبل لا علاقة لها بالإنسان ؛ أى أنه لا حاجة لها بالبستانى ، ذلك لأنها تأخذ لونها من نسيم السحر وطراوتها من أشعة الشمس ويزيد الندى من صحوها ، فإذا أراد المسلم أن يتصف بهذه الصفات فليحكم علاقته ب ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ، وهكذا يصبح هذا الإنسان بين أمم العالم إنسانًا فريدًا لا يساويه أحد .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ الآية ١٣٩ آل عمران .

عرض حال المؤلف

(١) إشارة إلى المعراج .

(٢) أى صنم واحد فقط بينما شيخنا فى رأسه أكثر من صنم .

(٣) القانون هنا هو الآلة الموسيقية وهنا تورية بالقانون بمعنى الشرع .

(٤) أى قوة العرب فى الأدب والغناء .

(٥) أى جهل ما فى دينه من شرائع وقوانين وأخذ عن الغرب .

(٦) أى ناحت الأصنام .

(٧) ويقصد أن يدفن فى الهند .

(٨) البيت لجلال الدين الرومى .

المؤلف فى سطور

العلامة محمد إقبال

ولد إقبال فى التاسع من نوفمبر لعام ١٨٧٧م بمدينة سيالكوت (باكستان) وهو ينتمى إلى أسرة برهمية اعتنقت الإسلام خلال القرن الخامس عشر الميلادى وهاجر جد إقبال شيخ محمد رفيق من كشمير واستوطن مدينة سيالكوت ، وكان أبوه شيخ نور محمد وأمه (إمام بى بى) معروفين بالصلاح والتقوى وبدأ إقبال دراسته فى الكتاب حيث تعلم اللغتين العربية والفارسية وتعلم على يد الشيخ سيد مير حسن ثم رحل إلى لاهور بعد نجاحه فى الثانوية عام ١٨٩٥م ، والتحق بكلية لاهور الحكومية وتخرج منها فى عام ١٨٩٧م ، ونال شهادة الماجستير فى عام ١٨٩٩م وسافر إلى إنجلترا عام ١٩٠٥م وتخرج من كيمبردج فى ١٩٠٧ م ، ونال شهادة الحقوق عام ١٩٠٨ م ، وسافر اقبال إلى ألمانيا بين عامى ١٩٠٥م و ١٩٠٧م للحصول على الدكتوراة فى الفلسفة ، وقدم إقبال أطروحة الدكتوراة بجامعة ميونخ وكان عنوانها : « تطور ما بعد الطبيعيات فى إيران » فى نوفمبر سنة ١٩٠٧م وعاد إلى لندن وحضر الامتحان النهائى فى الحقوق ، ثم رجع إلى الهند سنة ١٩٠٨م وعمل محاميا لكى يكسب ما يقيم به أوده وصرف جل وقته للنظر فى أحوال المسلمين ثم خرج على الناس فى سنة ١٩١٥م بمنظومته الرائعة أسرار الذات الإنسانية وتتالت بعد ذلك دواوينه وكتبه ومنها بالفارسية « رموز بى خودى » أو رموز نفى الذات ١٩١٨م و « بيام مشرق » أو رسالة

المشرق ١٩٢٣م ، و« زبور عجم » أو زبور العجم ١٩٢٧م ، وجاويد نامة أو رسالة الخلود ١٩٣٢م وترجمها للعربية الأستاذ الدكتور محمد السعيد جمال الدين ، ومسافر ١٩٣٤م ، وبس جـة بايدكرد أى أقـوام مشرق ، أو مـا العمل يا شعوب المشرق ١٩٣٦م ، وارمغان حجاز ، أو هـدية الحجاز (نشر بعد وفاته ١٩٣٨م) أما دواوينه التى نشرها بالأردية فهى « بانكدرا » أى صلصة الجرس ١٩٢٤م ، وبال جبريل ، أى جناح جبريل ١٩٣٥م ، وديوان ضرب الكليم ١٩٣٧م ، وله كتابان نشرهما بالإنجليزية هما تطور الفلسفة فى إيران ١٩٠٨م ، وتجديد الفكر الدينى فى الإسلام ١٩٢٨م ، وشارك إقبال خلال تلك الفترة فى النشاط الذى يمارسه حزب الرابطة الإسلامية فى الهند ، وانتخب فى سنة ١٩٣٠م رئيسا للمؤتمر الذى عقده الحزب فى (الله آباد) حيث دعا إلى تقسيم الهند ، فيكون للمسلمين بها موطن يخصهم ، إذ وجد من المحال أن يعيش سكان الهند جماعة واحدة أو جماعتين متعاونتين وقد أخذت الرابطة الإسلامية بهذه الفكرة التى تحققت بإنشاء باكستان سنة ١٩٤٧ م .

وزار إقبال أوربا فى سنة ١٩٣٢م حيث اختاره المؤتمر رئيسا له ، وقد بدأت العلل تتناوبه منذ بداية سنة ١٩٣٤م ، وفى سنة ١٩٣٥م أخذت صحته فى التدهور شيئًا فشيئًا لكنه ظل يوالى نظم الشعر إلى أن فاضت روحه فى فجر الحادى والعشرين من أبريل سنة ١٩٣٨م رحمه الله .

المترجمان فى سطور :

سمير عبد الحميد إبراهيم

تخرج فى كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٦٧ ، وعمل بها حتى ١٩٨٢ ، ثم انتقل بعد ذلك للعمل بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود فى طوكيو باليابان حتى عام ١٩٨٦ ، ثم انتقل للعمل بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض حتى عام ٢٠٠٣ ، وقد دعته جامعة دوشيشه اليابانية فى كيوتو للعمل أستاذاً زائرًا عام ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥

شارك فى العديد من المؤتمرات والندوات الدولية وله عدد كبير من المؤلفات والترجمات والبحوث نشرت فى باكستان ومصر واليابان والسعودية منها · يابانى فى مكة (ترجمة عن اليابانية بالاشتراك) ، والبوشيدو روح اليابان ، والرحلة اليابانية للجرجاوى تحقيق ودراسة ، وتعبيرات المحادثة العربية (باليابانية) بالاشتراك ، والمحتوى الفكرى والثقافى فى كتب تعليم اللغة العربية فى اليابان ، والخطاب الدينى فى الفكر اليابانى ، واتجاهات الثقافة العربية الإسلامية فى اليابان بين الماضى والحاضر نظرة تاريخية ، وجذور العلاقات السعودية واستشراف المستقبل رؤية محايدة ... ، وغيرها .

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز
الإشراف الفنـــى: حســـن كامـــــل



هذه ترجمة لديوان الأسرار والرموز للشاعر الفيلسوف محمد إقبال، وهو معروف لدى القراء العرب من دارسين ومثقفين وغيرهم، نظرا لما كتب حوله من دراسات متنوعة تناولت شخصيته وشعره وفلسفته، ، ونظرا لترجمة أشعاره وما كتب من أبحاث فلسفية إلى اللغة العربية.

وقد كان من حظ إقبال أن يبدأ عالم كبير وأديب قدير هو الدكتور عبد الوهاب عزام بترجمة أشعار إقبال، ومقتطفات من كتاباته الفلسفية إلى اللغة العربية فى فترة مبكرة، وأن يلتقى بإقبال فى القاهرة، ويقدمه لقراء العربية، ثم يسافر عزام إلى باكستان، وهناك يعكف على ترجمة بعض دواوين إقبال ترجمة شعرية، وكان من بين الدواوين التى ترجمها ديوان الأسرار والرموز، وهو الديوان الذى نقدم هنا ترجمته النثرية كاملة لقراء العربية.